باب الايمان بالقضاء والقدر ... والسادس الإيمان بالأقدار ... فأبقنن بها ولا ... تمار ... فكل شيء بقضاء وقدر ... والكل في أم الكتاب مستطر
والسادس من أركان الإيمان المشروحة في حديث جبريل وغيره هو الإيمان بالقدر خيره وشره قال الله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر القمر 49 وقال تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا الأحزاب 38 وقال تعالى وكان أمر الله مفعولا الأحزاب 37 وقال تعالى ما اصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه التغابن 11 وقال تعالى ما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله آل عمران 166 وقال تعالى وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون البقرة 156 وقال تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى الليل 5 10 وقال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله لرب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم الفاتحة الى اخر السورة
وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال قرأت على مالك بن أنس وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك فيما قرئ عليه عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس أنه قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا وكيع عن سفيان عن زياد بن إسماعيل عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي عن أبي هريرة قال جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر القمر 48 49 ورواه الترمذي وابن ماجه
وقال البخاري رحمه الله تعالى باب وكان أمر الله قدرا مقدورا الاحزاب 38 حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ

صحفتها ولتنكح فإن لها ما قدر لها
حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عاصم عن أبي عثمان عن أسامة قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رسول إحدى بناته وعنده سعد وأبي بن كعب ومعاذ أن ابنها يجود بنفسه فبعث
إليها لله ما أخذ ولله ما أعطى كل بأجل فلتصبر ولتحتسب
حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري قال أخبرني عبد الله بن محيريز الجمحي أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه بينما هو جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم جاء رجل من الأنصار فقال يا رسول الله إنا نصيب سبيا ونحب المال كيف ترى في العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إنكم تفعلون ذلك لا عليكم أن لا تفعلوا فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي كائنة

وقال رحمه الله تعالى حدثنا بشر بن محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدرته ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له أستخرج به من البخيل
وقال أيضا حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدر له ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له فيستخرج الله تعالى به من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل
وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير قالا حدثنا عبد الله بن إدريس عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الترمذي وغيره قول النبي صلى الله عليه وسلم له
واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك الحديث
والأحاديث في القدر كثيرة جدا قد تقدم منها أشياء متفرقة وسندكر منها ما ييسره الله عز وجل في هذا الباب

فصل الإيمان بالقدر على أربع مراتب
واعلم رحمك الله تعالى ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه وهداناه وإياك صراطه المستقيم أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب
المرتبة الأولى الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم واحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتهاه كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب كما قال تعالى هو الله الذي لا أله ألا هو عالم الغيب والشهاده الحشر 22 وقال تعالى لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما الطلاق 12 وقال تعالى وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا الجن 28 وقال تعالى عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر سبأ 3 وقال تعالى إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ انتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى النجم 30 وقال تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين أو ليس الله باعلم بما في صدور العالمين العنكبوت 10 وقال تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون البقرة 30 الآيات وقال تعالى

وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون البقرة 216
وقال البخاري رحمه الله تعالى باب الله أعلم بما كانوا عاملين حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين
حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال وأخبرني عطاء بن يزيد أنه سمع أبا هريرة يقول سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

ذراري المشركين
فقال الله أعلم بما كانوا عاملين
حدثني إسحاق أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكوتوا أنتم تجدعونها قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير
قال الله أعلم بما كانوا عاملين
وقال ايضا رحمه الله تعالى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا يزيد الرشك قال سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث عن عمران بن حصين قال قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار قال نعم قال فلم يعمل

العاملون قال كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له
وقال رحمه الله أيضا حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان حدثني أبو حازم عن سهل أن رجلا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي صلي الله عليه وسلم فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال من أحب أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه فأقيل الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم مسرعا فقال أشهد أنك رسول الله فقال وما ذاك قال قلت لفلان من أحب أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر إليه وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه
فقال النبي صلي الله عليه وسلم عند ذلك إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم
وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن رقبة بن مسقلة عن أبي إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا
حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت توفي صبي فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا تدرين أن الله تعالى خلق

الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا
حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه قال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم
وقال رحمه الله تعلى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة
قلت وهذا الحديث وما في معناه تفسيره عند أهل العلم والسنة على حديث سهل بن سعد عند مسلم رحمه الله تعالى قال حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الرحمن القاري عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة الحديث يفسر الأول أن عمل المختوم له بالشقاوة إذا ظهر صلاحه إنما هو فيما يبدو للناس
وقل رحمه الله تعالى حدثنا إسحق بن إبراهيم الحنظلي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا عزرة بن ثابت عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي قال قال لي عمران بن الحصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون

فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به ما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم قال فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسألون فقال لي يرحمك الله تعالى إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون

فيه أفي شيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها الشمس 8 وفيه عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسا وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه
فقال ما منكم من نفس منفوسة إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا يا رسول الله فلم نعمل أفلا نتكل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الى قوله فسنيسره للعسرى الليل 5 10 والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة يطول استقصاؤها وقد تقدم منها جملة في إثبات علم الله عز وجل من توحيد المعرفة والإثبات فصل المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء قال الله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شيء الأنعام 38 وقال تعالى وكل شيء أحصيناه في إمام مبين يس 12 وقال تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر القمر 53 وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون فما بال القرون الأولى قال علمها عند

ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى طه 52 وقال تعالى ألم تر أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير الحج 70 وقال تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو الى قوله ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين الأنعام 59 وقال تعالى وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين يونس 61 وقال تعالى وما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير فاطر 11 الى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين إثبات العلم والكتاب أو يذكر كل على حدته وكتابه تعالى من علمه
وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا عبدان بن أبي حمزة عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال كنا جلوسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت في الأرض وقال ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة فقال رجل من القوم ألا نتكل يا رسول الله قال لا اعملوا فكل ميسر ثم قرأ فأما من أعطى واتقى الليل 5
ورواه مسلم بأبسط منه فقال رحمه الله تعالى حدثنا عثمان بن أبي شيبة وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم واللفظ لزهير قال إسحق أخبرنا وقال

الآخران حدثنا جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم
قال ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة قال فقال رجل يا رسول الله

أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال
من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال اعملوا فكل ميسر وأما أهل السعاده فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى الليل 5 10
وقال رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو الزبير وحدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبي الزبير عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال يا رسول الله بين لنا ديننا كإنا خلقنا الآن فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل قال
لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال زهير ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه فسألت ما قال فقال اعملوا فكل ميسر وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل عامل ميسر لعمله
وقال البخاري رحمه الله تعالى باب وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون الأنبياء 95 إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن هود 36 ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا نوح 27 وقال منصور بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم وحرم بالحبشية وجب حدثني محمود بن غيلان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مارأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ورواه مسلم

بهذا اللفظ وبلفظ قال صلى الله عليه وسلم
كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه
وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا يونس حدثنا الليث عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا غلام إني معلمك كلمات ينفعك الله بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف ورواه الترمذي بنحوه وقال حسن صحيح
وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافري عن شفى الأصبحي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قال قلنا إلا أن تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ثم قال للذي في يساره هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأي شيء نعمل إذا نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم بعمل الجنة وإن عمل أي عمل وإن صاحب النارليختم بعمل أهل النار وإن عمل اي عمل ثم قال بيده فقبضها ثم قال فرغ ربكم عز وجل من العباد ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال فريق في الجنة ونبذ باليسرى فقال فريق في السعير ورواه الترمذي بنحوه وقال حديث حسن صحيح غريب وغير ذلك من الأحاديث كثير
فصل والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير
الأول التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم كما قال ربنا تبارك وتعالى قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا التوبة 51 الآية وقال سبحانه وتعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم الحديد 22

وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن فقال إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر قال
كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض فنادى مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب فوالله لوددت أني كنت تركتها

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 929]

وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح حدثنا ابن وهب أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء
ولهما عن أبي هريرة حديث احتجاج آدم وموسى وهذا اللفظ لمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك الملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال ادم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله تعالى كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى طه 121 قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله علي ان أعمله قبل أن يخلقني باربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحج آدم موسى وله عندهما وغيرهما ألفاظ من طرق كثيرة
وقال أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا جعفر بن مسافر الهذلي حدثنا يحيى بن حسان حدثنا الوليد بن رباح عن ابراهيم ابن أبي عبلة عن أبي حفصة قال قال عبادة بن الصامت لابنه يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب قال رب وماذا أكتب قال مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يابني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول
من مات على غير هذا فليس مني

وقال الترمذي رحمه الله تعالى حدثنا يحيى بن موسى أخبرنا أبو داود الطيالسي أخبرنا عبد الواحد بن سليم قال قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت له يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون في القدر قال يا بني اتقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرأ الزخرف قال فقرأت حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم الزخرف 1 4 قال أتدري ما أم الكتاب قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه كتاب كتبه الله قبل ان يخلق السماء وقبل أن يخلق الأرض فيه إن فرعون من أهل النار وفيه تبت يدا أبي لهب وتب قال عطاء فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ما كانت وصية أبيك عند الموت قال دعاني فقال يا بني اتق الله واعلم أنك لن تتقي الله تعالى حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره فإن مت على غير هذا دخلت النار إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد هذا حديث غريب وقال البخاري رحمه الله تعالى قال أصبغ أخبرني ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله إني رجل شاب وأخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختصر على ذلك أو ذر وغير ذلك من الأحاديث

فصل

التقدير الثاني من تقادير الكتابة كتابة الميثاق يوم ألست بربكم

قال تعالى وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نصرف الآيات ولعلهم يرجعون الأعراف 172 وقال تبارك وتعالى وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين الأعراف 102

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد ابو اسحق الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الديلمي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليم من نوره يومئذ فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل حسنه الترمذي
وقال أحمد رحمه الله عز وجل حدثنا هشيم وسمعته انا منه قال حدثنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم فقال للذي في يمينه الى الجنة ولا أبالي وقال للذي في كفه اليسرى الى النار ولا ابالي وقال رحمه الله تعالى حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث يعني ابن سعد عن معاوية بن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي قال فقال قائل يا رسول الله فعلى ماذا نعمل قال على مواقع القدر وفي الباب عن معاذ ونضرة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحديث عبد الرحمن هذا رجاله رجال الصحيحين الى الصحابي
وروى إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى عن زيد بن انيسة عن عبدالحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل رضي الله عنه عن هذه الآية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشدهم علي أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين الأ عراف 172 فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريه فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتي يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله ربه الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله ربه النار

وقال
الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير يعني ابن أبي حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون الأعراف 172 صححه الحاكم
وروى ابنه عبد الله في زوائده على مسند أبيه حدثنا محمد بن يعقوب الربالي حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن الربيع بن أنس عن رفيع أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه في قول الله عز وجل وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الأعراف 172 الآية قال جميعهم فجعلهم أرواحا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بذلك اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئا إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي قالوا شهدنا بأنك ربنا والهنا لا رب غيرك فأقروا بذلك الحديث وقال الإمام الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه

وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي عمران قال سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا أن تشرك بي ورواه مسلم وغيره
والاحاديث في هذا الباب كثيرة وقد قدمنا منها جملة وافية في أول هذا الشرح عند الكلام على الميثاق ولله الحمد والمنة
فصل التقدير الثالث العمري عند تخليق النطفة في الرحم فيكتب إذ ذاك

ذكوريتها وأنوثتها والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ما هو لاق فلا يزاد فيه ولا ينقص منه قال الله تبارك وتعالى ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا الحج 5 الآيات وقال تعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ان ذلك على الله يسير فاطر 11 وقال تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون غافر 67 وقال تبارك وتعالى إن ربك واسع المغفرة

هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم النجم 32 وغيرها من الآيات
وروى البخاري ومسلم بإسناديهما إلى سليمان الأعمش قال سمعت زيد بن وهب عن عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات تكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وهذا لفظ مسلم ولهما من حديث حماد بن زيد عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله تعالى بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال أي رب ذكر أم انثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه
وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير المكي أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فأتى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال

له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال وكيف يشقى رجل بغير عمل فقال له الرجل أتعجب من ذلك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله تعالى إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب ذكر أم انثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب ما رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على أمر ولا ينقص وفي رواية له من طريق أخرى فيقول يا رب أذكر أو انثى فيجعله الله ذكرا أو انثى ثم يقول يا رب أسوي او غير سوي فيجعله الله سويا أو غير سوي ثم يقول يا رب ما رزقه ما خلقه ثم يجعله الله تعالى شقيا أو سعيدا
وفي رواية لأحمد فيقول يا رب ماذا أشقي أم سعيد فيقول الله تبارك وتعالى فيكتبان فيقول ماذا أذكر أم أنثى فيقول الله عز وجل فيكتبان فيكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص
وله عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا استقرت النطفة في الرحم أربعين يوما أو أربعين ليلة بعث الله اليه ملكا فيقول يا رب ما رزقه فيقال له فيقول يا رب ما أجله فيقال له فيقول يا رب ذكر أم أنثى فيعلمه فيقول يا رب شقي أو سعيد فيعلمه تفرد واسناده حسن
وله عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
فرغ الله الى كل عبد من خمس من أجله ورزقه وأثره وشقي أم سعيد والأحاديث في ذلك كثير

فصل والرابع التقدير الحولي في ليلة القدر يقدر فيها كل ما يكون في السنة إلى مثله قال الله تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين الدخان 1 5 الآيات
قال مجاهد ليلة القدر ليلة الحكم وقال سعيد بن جبير يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وقال الحسن البصري والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان وإنها لليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضي الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها وقال ابن عباس يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان

قال مقاتل يقدر الله تعالى في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة وقال أبو عبد الرحمن السلمي يقدر امر السنة كلها في ليلة القدر وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية إنك لترى الرجل غشى في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى وروى عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ الى الكتبه أمر السنة وما يكون فيها من الأجال والأرزاق وما يكون فيها الى آخرها والأثار في ذلك عن الصحابة وائمة التفسير من تابعيهم بإحسان كثيرة شهيرة

فصل

والخامس التقدير اليومي وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها فيما سبق قال الله تبارك وتعالى يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن الرحمن 29 وروى ابن جرير رحمه الله تعالى عن منيب بن عبدالله بن منيب الأزدي عن ابيه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية كل يوم هو في شأن الرحمن 29 فقلنا يا رسول الله وما ذاك الشأن قال أن يغفر ذنبا

ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين

وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كل يوم هو في شأن الرحمن 29 قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع مقاما ويضع آخرين وعلقه البخاري موقوفا وروى البزار عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم هو في شأن الرحمن 29 قال يغفر ذنبا ويكشف كربا

وله هو وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما إن الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوته حمراء قلمه نور كتابه نور وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وروى ابن أبي حاتم عن سويد بن جبلة الفزاري قال إن ربكم كل يوم هو في شأن فيعتق رقابا ويعطي رغابا ويقحم عقابا وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير كل يوم هو في شأن

الرحمن 29 قال من شأنه أن يجيب داعيا أو يعطي سائلا أو يفك عانيا او يشفي سقيما وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل يوم هو يجيب داعيا ويكشف كربا ويجيب مضطرا ويغفر ذنبا وقال قتادة لا يستغني عنه أهل السموات والأرض

يحيي حيا ويميت ميتا ويربي صغيرا ويفك اسيرا وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم وقال الحسين بن فضل هو سوق المقادير الى المواقيت وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية كل يوم له الى العبيد بر جديد وذكر البغوي رحمه الله تعالى قول المفسرين من شأنه أن يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء وجملة القول في ذلك أن التقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه في الوقت الذي سبق أنه يناله فيه لا يتقدمه ولا يتأخره كما أن في الآخره يأتي تأويل الجزاء الموعود إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ولهذا قال سفيان بن عيينة فيما ذكره عنه البغوي رحمه الله تعالى الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع يعني وغير ذلك وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب ثم هذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق وهو تفضيل من التقدير الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين والإمام المبين هو من علم الله عز وجل وكذلك منتهى المقادير في آخريتها

الى علم الله عز وجل فانتهت الأوائل الى أوليته وانتهت الأواخر الى آخريته وأن الى ربك المنتهى النجم 42

فصل

والمرتبة الثالثه من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون يس 82 وما لم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أن لو شاء الله لهدى الناس جميعا ولو شاء الله ما اقتتلوا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فالسبب في عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده لا أنه عجز عنه تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا فاطر 44

فصل

والمرتبة الرابعة مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل

شيء فهو خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه وتعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه وهاتان المرتبتان قد تقدم بسط الكلام عليهما في توحيد المعرفة والإثبات بما أغنى عن إعادته ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

فصل

وللعباد قدرة على اعمالهم ولهم مشيئة والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة وبحسبها كلفوا عليها يثابون ويعاقبون ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم

وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم في الكتاب والسنة ووصفهم به ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله عز وجل ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين كما جمع تعالى بين ذلك في غير ما موضع من كتابه كقوله عزوجل من يهد الله فهو المهتد ومن يظلل فأولئك هم الخاسرون الأعراف 178 وقال تعالى إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما المزمل 19 وقال تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين التكوير 27 29 وقال تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت البقرة 286 الآية وقال تعالى لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها الطلاق 7 وقال تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون الزخرف 72 أي بسببه وقال تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعلمون السجدة 24 وقال النبي صلى الله عليه وسلم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وقال البخاري رحمه الله تعالى

باب وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الأعراف 43 لو أن الله هداني لكنت من المتقين الزمر 57 حدثنا أبو النعمان أخبرنا جرير هو ابن حازم عن أبي إسحاق عن البراءبن عازب رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لا قينا والمشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وقال صلى الله عليه وسلم في الحمر
ما أنزل الله علي فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الزلزلة 7 8 وغير ذلك ما لا يحصى وقد تقدم منها جملة وافيه في إثبات الإرادة والمشيئة والخلق فكما لم يوجد العباد أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم تبع لقدرة الله سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله إذ هو تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم ليس مشيئتهم وإرادتهم وقدرتهم وأفعالهم هي عين مشيئة الله تعالى وإرادته وقدرته وفعله كما ليسوا هم إياه تعالى الله عن ذلك بل أفعالهم المخلوقة لله قائمة بهم لائقة بهم مضافة اليهم حقيقة وهي من آثار أفعال الله تعالى القائمة به اللائقة به المضافة إليه حقيقة فالله فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة والله تعالى هاد حقيقة والعبد مهتد حقيقة ولهذا أضاف تعالى كلا من الفعلين الى من قام به فقال عز وجل من يهد الله فهو المهتد الإسراء 97 فإضافة الهداية الى الله تعالى حقيقة وإضافة الاهتداء الى العبد حقيقة وكما ان الهادي تعالى ليس هو عين المهتدي فكذلك ليست الهداية هي عين الاهتداء وكذلك يضل الله تعالى من يشاء حقيقة وذلك العبد يكون ضالا حقيقة وهو سبحانه وتعالى خالق المؤمن وإيمانه والكافر وكفره كما قال جل وعلا هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير التغابن 2 أي هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك كونا لا شرعا فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاءو لهذا قال تعال والله بما تعملون بصير فأضاف الله تعالى الخلق الذي هو فعله القائم به اليه حقيقة وأضاف الإيمان والكفر الذي هو عملهم القائم بهم إليهم حقيقة والله تبارك وتعالى هو الذي جعلهم كذلك وهم فعلوه باختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التي منحهم الله إياها وخلقها فيهم وامرهم ونهاهم بحسبها

والمقصود ان الله سبحانه في جميع تصرفاته في عباده فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة
فمن أضاف الفعل والانفعال كلاهما الى المخلوق كفر
ومن أضافهما كلاهما إلى الله تعالى كفر ومن أضاف الفعل الى الله تعالى حقيقة والأنفعال إلى المخلوق حقيقة كما أضافها الله تعالى فهو المؤمن حقيقة فالأول قول القدرية النفاة وأول من أحدثة في هذة الأمة معبد الجهني في آخر عصر الصحابة كما قدمنا عن يحيى بن يعمر في سياق حديث جبريل السابق في سؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عن الدين وأنكر عليه ذلك بقية الصحابة

وأئمة التابعين وتبرأوا من هذا الاعتقاد وكفروا منتحليه ونفوا عنه الإيمان وأوصى بعضهم بعضا بمجانبته والفرار من مجالسته ثم تقلد عنه ذلك المذهب الفاسد والسنة السيئة التي انتحلها هو رؤوس المعتزلة وأئمتهم المضلون كواصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد ومن في معناهم وعلى طريقتهم حتى بالغ بعضهم فأنكر علم الله تعالى وأنكر كتابة المقادير السابقة وجعل العباد هم الخالقين لأفعالهم ولهذا كانوا هم مجوس هذه الأمة فأما واصل بن عطاء فقال فيه ابو الفتح الأزدي رجل سوء كافر قال الذهبي كان من أجلاد المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة ومما قيل فيه ... ويجعل البر قمحا في تصرفه ... وخالف الراء حتى احتال للشعر ... ولم يطق مطرا في القول يجعله ... فعاذ بالغيث ... إشفاقا من المطر
وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم هلك سنة إحدى وثلاثين ومائة وأما عمرو بن عبيد فهو ابن ثوبان

ويقال ابن كيسان التيمي مولاهم ابو عثمان البصري من ابناء فارس قال ابن كثير هو شيخ القدرية والمعتزلة روى الحديث عن الحسن البصري وعبيد الله بن أنس وأبي العالية وأبي قلابة وعنه الحمادان وسفيان بن عيينة والأعمش وكان من أقرانه وعبد الوارث بن سعيد وهارون بن موسى ويحيى القطان ويزيد بن زريع قال الإمام أحمد ليس بأهل ان يحدث عنه وقال علي بن المديني ويحيى بن معين ليس بشيء وزاد ابن معين وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع وقال الفلاس متروك صاحب بدعة كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه وكان ابن مهدي لا يحدث عنه وقال أبو حاتم متروك وقال النسائي ليس بثقة وقال شعبة عن يونس بن عبيد كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث وقال حماد بن سلمة قال لي حميد لاتأخذ عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصري وكذا قال أيوب وعوف بن عون وقال أيوب ما كنت أعد له عقلا وقال مطر الوراق والله لا أصدقه في شيء وقال ابن المبارك إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو الى القدر وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل وأثنى عليه آخرون في عبادته وزهده وتقشفه قال الحسن البصري هذا سيد شباب القراء مالم يحدث قالوا فأحدث والله أشد الحدث وقال ابن جبان كان من أهل الورع والعبادة الى أن أحدث ما أحدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث وهما لا تعمدا وقد روى عنه أنه قال إن كانت تبت يدا أبي لهب المسد 1 في اللوح فما تعد منه على ابن آدم حجة وروى له حديث ابن مسعود حدثنا الصادق المصدوق
إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما حتى قال فيؤمر بأربع كلمات

رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد الى آخره فقال لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته ولو سمعته من زيد بن وهب لما أحببته ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته ولو سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته ولو سمعت الله يقول

هذا لقلت ما على هذا أخذت علينا الميثاق وهذا من أقبح الكفر لعنه الله إن كان قال هذا وإذا كان مكذوبا عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى ... أيها الطالب علما ... إئت حماد بن زيد ... ... فخذ العلم بحلم ... ثم قيده بقيد ... وذر البدعة من ... آثار عمرو بن عبيد
وقال ابن عدي كان عمرو يغر الناس بتقشفه وهو مذموم ضعيف الحديث جدا معلن بالبدع وقال الدارقطني ضعيف الحديث وقال الخطيب البغدادي جالس الحسن واشتهر بصحبته ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر ودعا اليه واعتزل أصحاب الحديث رحمهم الله تعالى
ثم توارث القدرية هذا المذهب الفاسد بعد هؤلاء وتواصوا به ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات ثم افترقوا في أفعال الله كما افترقوا في علمه
ففرقة قالت كل أفعال العباد ليست مقدروة لله ولا مخلوقة له لا خيرها ولا شرها والأخرى قالت الخير من أفعالهم مخلوق له تعالى ومقدور له وأما الشر فليس عندهم مخلوقا لله ولا مقدورا له فأثبتوا نصف القدر ونفوا نصفه وأثبتوا خالقين فهم في الحقيقة مجوس ثنوية بل أعظم منهم فإن الثنوية أثبتوا خالقين للكون كله وهؤلاء أثبتوا خالقين لكل فرد من الأفراد ولكل فعل من الأفعال بل جعلوا المخلوقين كلهم خالقين ولولا تناقضهم لكانوا أكفر من المجوس فإن اطراد قولهم ولازمه وحاصله هو إخراج أفعال العباد عن خلق الله عز وجل وملكه وأنها ليست داخلة في ربوبيته عزوجل وأنه يكون في ملكه ما

لا يريد ويريد ما لا يكون وأنهم أغنياء عن الله عز وجل فلا يستعينون على طاعته ولا ترك معصيته ولا يعوذون به من شرور أنفسهم ولا سيئات أعمالهم ولا يستشهدونه الصراط المستقيم فقول إياك نعبد وإياك نستعين وقول لا حول ولا قوة إلا بالله لا معنى له عندهم وربما استنكروه كما جحدوا قوله تعالى من يشإ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم الأنعام 39 هذا مع

إنكارهم علم الله عز وجل وقدرته ومشيئته وإرادته وغير ذلك من صفاته تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا

فصل

والقول الثاني وهو إضافة الفعل والانفعال كلاهما إلى الله عز وجل هو قول الجبرية الغلاة الجفاة الذين يقولون إن العبد مجبور على أفعاله مقسور عليها كالسعفة يحركها الريح العاصف كالهاوي من أعلى إلى أسفل وأن تكليف الله سبحانه وتعالى عباده من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصي كتكليف الحيوان البهيم بالطيران وتكليف المقعد بالمشي وتكليف الأعمى بنقط الكتاب وإن تعذيبه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم وإن ذلك كتعذيب الطويل لم لم يكن قصيرا والقصير لم لم يكن طويلا والأسود لم لم يكن أبيض والأبيض لم لم يكن أسود فسلبوا العبد قدرته واختياره وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة وجحدوا حجته الدامغة وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده ونسبوه تعالى إلى الظلم وطعنوا في عدله وشرعه فلا قيام عندهم لسوق الجهاد ولا معنى لإقامة الحدود ولا للثواب والعقاب بل ولا لإرسال الرسل والكتب إلا التكليف في غير وسع وتحميل مالا يطاق والظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرما فأقاموا عذر إبليس اللعين وعذر فرعون وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة الممقوتين المقبوحين المغضوب عليهم المخسوف بهم المعدة لهم جهنم وساءت مصيرا وأن غضب الله عليهم ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالهم بل قالوا إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الإبليسية وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كثيرا

من عباراتهم التي لا يستطيع المؤمن حكايتها لولا أن الله تعالى حكى في كتابه أ قوال الكفار قبحهم الله فمن ذلك قول بعضهم ... ألقاه في اليم مكتوفا وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء ...

وقول آخر فبحه الله ... دعاني وسد الباب عني فهل إلى ... دخولي سبيل بينوا لي قضيتي ...

وقول كافر آخر فض الله فاه وضعوا اللحم للبزا ... ة على ذروتي عدن ... ثم لاموا البزاة ... إئ خلعوا عنهم الرسن ... لو أرادوا صيانتي ... ستروا وجهك الحسن ...

وقال بعضهم وقد ذكر له من يخاف له ومن يخاف إفساده فقال لي خمس بنات لا أخاف على إفسادهن غيره وصعد رجل يوما على سطح دار له فأشرف على غلام له يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما فقال الغلام إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك فقال لعلمك بالقضاء والقدر أحب الي من كل

شيء أنت حر لوجه الله ورأى آخر يفجر بامرأته فبادر ليأخذه فهرب فأقبل يضرب المرأة وهي تقول القضاء والقدر فقال يا عدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا فقالت أوه تركت السنة وأخذت بمذهب ابن عباس فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر إليها وقال لولاك لضللت ورأى آخر رجلا يفجر بامرأته فقال ما هذا فقالت هذا قضاء الله وقدره فقال الخيرة فيما قضى الله فلقب بالخيرة فيما قضى الله وكان إذا دعى به غضب وقيل لبعض هؤلاء أليس هو يقول ولا يرضى لعباده الكفر فقال دعنا من هذا رضيه وأحبه وأراده وما أفسدنا غيره ولقد بالغ بعضهم في ذلك حتى قال القدر عذر لجميع العصاة وإنما مثلنا في ذلك كما قيل

... إذا مرضنا أتيناكم نعودكم ... وتذنبون فنأتيكم فنعتذر
وبلغ بعض هؤلاء أن عليا مر بقتلى النهروان فقال بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل من غرهم فقال الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والأماني فقال هذا القائل كان علي قدريا وإلا فالله غرهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك الموارد واجتمع جماعة من هؤلاء يوما فتذاكروا القدر فجرى ذكر الهدهد وقوله وزين لهم الشيطان أعمالهم النكل 24 فقال كان الهدهد قدريا أ ضاف العمل إليهم والتزيين إلى الشيطان وجميع ذلك فعل الله وسئل بعض هؤلاء عن قول الله تعالى لإبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ص 75 أيمنعه ثم يسأله ما منعه قال نعم قضى عليه في السر ما منعه في العلانية ولعنه عليه قال له فما معنى قوله عز وجل وماذا عليهم لو آمنوا بالله النساء 39 إذا كان هو الذي منعهم قال استهزاء بهم قال فما معنى قوله ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم النساء 147 قال فعل ذلك بهم من غير ذنب جنوه بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم عليه وليس للآية معنى وقال بعض هؤلاء وقد عوتب على ارتكابه معاصي الله فقال إن كنت عاصيا لأمره فأنا مطيع لإرادته وجرى عند بعض هؤلاء ذكر إبليس وإبائه وامتناعه من السجود لآدم فأخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه فقال إلى متى هذا اللوم ولو خلي لسجد ولكن منع وأخذ يقيم عذره فقال بعض الحاضرين تبا لك سائر اليوم أتذب عن الشيطان وتلوم الرحمن وجاء جماعة الى منزل رجل من هؤلاء فلم يجدوه فلما رجع قال كنت أصلح بين قوم فقيل له وأصلحت بينهم قال أصلحت إن لم يفسد الله فقيل له بؤسا لك أتحسن الثناء على نفسك وتسيء الثناء على ربك ومر بلص مقطوع اليد على بعض هؤلاء فقال مسكين مظلوم أجبره على السرقة ثم قطع يده عليها وقيل لبعضهم أترى الله كلف عباده ما لا يطيقون ثم يعذبهم عليه قال والله قد فعل ذلك ولكن لا نجسر أن نتكلم وقال بعض هؤلاء ذنبة أنذبها أحب إلى من عبادة الملائكة قيل ولم قال لعلمي بأن الله قضاها علي وقدرها ولم يقضها إلا والخيرة لي فيها وقال بعض هؤلاء العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره

بسر الله في القدر قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول عاتبت بعض شيوخ هؤلاء فقال لي المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب والكون كله مراده فأي شيء أبغض منه قال فقلت له إذا كان المحبوب قد أبغض بعض من في الكون وعاداهم ولعنهم فأحببتهم أنت ووالیتهم أكنت وليا للمحبوب أو عدوا له قال فكأنما ألقم حجرا وقرأ قارئ بحضرة بعض هؤلاء قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ص 75 فقال هو الله منعه ولو قال إبليس ذلك لكان صادقا وقد أخطأ إبليس الحجة ولو كنت حاضرا لقلت له أنت منعته وسمع بعض هؤلاء قارئا يقرأ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فصلت 17 فقال ليس من هذا شيء بل أضلهم وأعماهم اه الى أن قال فيقال الله أكبر على هؤلاء الملاحدة أعداء الله حقا الذين ما قدروا الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمة ولا نزهوه عما لا يليق به وبغضوه إلى عباده وبغضوهم إليه سبحانه وأساءوا الثناء عليه جهدهم وطاقتهم وهؤلاء خصماء الله حقا الذين جاء فيهم الحديث يقال يوم القيامة أين خصماء الله فيؤمر بهم الى النار قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تائيته

ويدعى خصوم الله يوم معادهم ... الى النار طرا فرقة القدرية ... سواء ...
... نفوه أو سعوا ليخاصموا ... به الله أو ماروا به للشريعة

وقال وسمعته يقول القدرية المذمومون في السنة وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاث نفاته وهم القدرية المجوسية والمعارضون به للشريعة

الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا الأنعام 148 وهم القدرية المشركون والمخاصمون به للرب سبحانه وهم اعداء الله تعالى وخصومه وهم القدرية الإبليسية وشيخهم إبليس وهو أول من احتج على الله بالقدر فقال بما أغويتني ولم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم فمن أقر بالذنب وباء به ونزه ربه فقد أشبه أباه آدم ومن أشبه أباه فما ظلم ومن برأ نفسه واحتج بالقدر فقد أشبه إبليس ثم ساق كلاما طويلا في فرق القدرية وضلالهم الى أن قال رحمه الله تعالى فانظر كيف انقسمت هذه المواريث على هذه السهام وورث كل قوم أئمتهم وأسلافهم إما في جميع تركتهم وإما في كثير منها وإما في جزء منها وهدى الله بفضله ورثه أنبيائه ورسله لميراث نبيهم صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض بل آمنوا

بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة النافذة وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه مقلب القلوب ومصرفها كيف أراد وأنه هو الذي جعل المؤمن مؤمنا والمصلي مصليا والمتقي متقيا وجعل أئمة الهدى يهدون بأمره وأئمة الضلالة يدعون الى النار وأنه ألهم كل نفس فجورها وتقواها وأنه يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وأنه هو الذي وفق أهل الطاعة لطاعته فأطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصوه وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبهم فإنه تعالى يحول بين المرء وقلبه فكفروا به ولو شاء لوفقهم فآمنوا به وأطاعوه وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هاد له وأنه لو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعا إيمانا يثابون عليه ويقبل منهم ويرضى به عنهم وأنه لو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون
القضاء والقدر أربع مراتب والقضاء القدر عندهم أربع مراتب جاء بها نبيهم صلى الله عليه وسلم وأخبر بها عن ربه تعالى
الأول علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم
الثانية كتابته ذلك في الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض

الثالثة مشيئة المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئه كما لا خروج له عن علمه
الرابعة خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنه لا خالق إلا الله والله خالق كل شيء فالخلق عندهم واحد وما سواه فمخلوق ولا واسطة عندهم بين الخالق والمخلوق ويؤمنون مع ذلك بحكمته وأنه حكيم في كل ما فعله وخلقه وإن مصدر ذلك جميعه عن حكمة تامة هي التي اقتضت صدور ذلك وخلقه وإن حكمته حكمة حق عائدة اليه قائمة به كسائر صفاته وليست عبارة عن مطابقة علمه لمعلومه وقدرته لمقدوره كما يقوله نفاه الحكمة الذين يقرون بلفظها دون حقيقتها بل هي أمر وراء ذلك وهي الغاية المحبوبة له المطلوبة التي هي متعلق محبته وحمده ولأجلها خلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحيا وأسعد وأشقى وأضل وهدى ومنع وأعطى وهذه الحكمة هي الغاية والفعل وسيلة إليها فإثبات الفعل مع نفيها إثبات للوسائل ونفي للغايات وهو محال إذ نفي الغاية مستلزم لنفي الوسيلة فنفي الوسيلة وهي الفعل لازم لنفي الغاية وهي الحكمة ونفي قيام الفعل والحكمة به نفي لهما في الحقيقة إذ فعل لا يقوم بفاعله وحكمة لا يقوم بالحكيم شيء لا يعقل وذلك يستلزم إنكار ربوبيته و إلهيته وهذا لازم لمن نفى ذلك ولا محيد له عنه وإن أبى التزامه وأما من أثبت حكمته تعالى وأفعاله على الوجه المطابق للعقل والفطرة ولما جاءت به الرسل لم يلزم من قوله محذور البته بل قوله حق ولازم الحق حق كائنا ما كان والمقصود أن ورثة الرسل وخلفاءهم لكمال ميراثهم لنبيهم آمنوا بالقضاء والقدر والحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب تعالى وأوامره وقاموا مع

ذلك بالأمر والنهي وصدقوا بالوعد والوعيد فآمنوا بالخالق الذي من تمام الإيمان به إثبات القدر والحكمة وبالأمر الذي من تمام الإيمان به الإيمان بالوعد والوعيد وحشر الأجساد والثواب والعقاب فصدقوا بالخلق والأمر ولم ينفوهما بنفي لوازمهما كما فعلت القدرية المجوسية والقدرية المعارضة للأمر بالقدر وكانوا أسعد الناس بالحق وأقربهم عصبة في هذا الميراث النبوي

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى ما سقنا من كلامه رحمه الله تعالى وقد بسط الكلام قبل ذلك وبعده فشفى وكفى رحمه الله تعالى
والمقصود أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر وانفكاك أحدهما من الآخر محال فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربته به مخاصمة لله تعالى في أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه وطعن في حكمته وعدله وانتقاد عليه في إرسال الرسل وإنزال الكتب وخلق الجنة لأوليائه المصدقين بها وخلق النار لأعدائه المكذبين ونسبة لأحكم الحاكمين وأعدل العادلين الحكيم في خلقه وشرعه العدل في قوله وفعله وحكمه إلى البعث والظلم في ذلك كله
وكذلك الانقياد في الشرع مع نفي القدر وإخراج أفعال العباد عن قدرة الباري وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن في ربوبية المعبود وملكوته ونسبته إلى العجز ووصفه بما لا يستحق الإلهية ولا يتصف بها مما لا يبدئ ولا يعيد ولا يغني عنك شيئا تعالى ربنا وتقدس وتنزه وجل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علوا كبيرا بل الإيمان بالقدر خيره وشره هو نظام التوحيد كما أن الإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع كما قرر النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل له أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال
لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له
فمن نفى القدر رغم منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته ومعاني ربوبيته وجعل العبد مستقلا بأفعاله خالقا لها فأثبت خالقا مع الله

تعالى بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون ومن أثبته محتجا به على الشرع محاربا له به نافيا عن العبد قدرته واختياره التي منحه الله تعالى إياها وأمره

ونهاه وأخبره بحسبها زاعما أن الله تعالى كلف عباده ما لا يطاق فقد نسب الله تعالى الى الظلم والى العبث والى ما لا يليق به ورجح حجة إبليس وأثبتها وأقام عذره وكان هو إمامه في ذلك إذ يقول رب بما أغويتني الأعراف 16 وأما المؤمنون حقا فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله تعالى خالق ذلك كله لا خالق غيره ولا رب سواه وينقادون للشرع أمره ونهيه و ويصدقون خبر الكتاب والرسول ويحكمونه في أنفسهم سرا وجهرا وأن الهداية والإضلال بيد الله يهدي من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن أهتدى النجم 30 وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلا وتركا لا على القدر ويعزون انفسهم بالقدر عند المصائب ولا يحتجون به على المعاصي والمعايب فإذا وقفوا لحسنة عرفوا الحق لأهله فقالوا الحمد لله الذي هدانا سبلنا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الأعراف 43 ولم يقولوا كما قال الفاجر إنما أوتيته على علم عندي القصص 78 وإذا اقترفوا سيئة باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبوان ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الأعراف 23 ولم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر ويحتجوا به عليه ولم يقولوا كما قال إبليس لعنه الله رب بما أغويتني الأعراف 16 وإذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء الله وقدره واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم تبارك وتعالى وقالوا كلمة الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون البقرة 156 ولم يقولوا كما قال الذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير آل عمران 156

فصل القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الإتكال

واتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح ولهذا لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها فقيل له أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال لا اعملوا فكل ميسر ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى الليل 5 10 كما في الأحاديث التي قدمنا وغيرها فالله سبحانه وتعالى قدر المقادير وهيأ لها أسبابا وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب في المعاش والمعاد وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة فهو مهيأ له ميسر له فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادا في فعلها والقيام بها وأعضم منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سببا

في وجود الزرع والنكاح سببا في وجود النسل وكذلك العمل الصالح سبب في دخول الجنة والعمل السيء سبب في دخول النار وقد فقه هذا كل الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر ما كنت بأشد اجتهاد مني الآن وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتقدم
احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل
وفي المسند والترمذي وابن ماجه من حديث الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة

نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله يعني أن الله تبارك وتعالى قدر الخير والشر وأسباب كل منهما
ذكر ما جاء من الأحاديث في ذم القدرية
تقدم في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة أن هذه الآية إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر القمر 47 49 أنها نزلت في المخاصمين في القدر وتقدم فيهم أحاديث الصحابة من روايتهم سؤال جبريل عن الدين وغير ذلك من الأحاديث التي سقناها متفرقة في مواضع من هذا المجموع وقال أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم قال حدثني بمنى عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم ورواه الإمام أحمد عنه بلفظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل أمة

مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم الخ وفي رواية إن لكل أمه مجوسا وإن مجوس أمتي المكذبون بالقدر الخ وله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الأمة مسخ ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية وله عن نافع قال كان لابن عمر رضي الله عنهما صديق من أهل الشام يكاتبه فكتب إليه مرة عبد الله بن عمر إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر فإياك أن تكب إلي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر وللترمذي عن نافع عنه رضي الله عنه جاءه رجل فقال إن فلانا يقرأ عليك السلام فقال إنه بلغني أنه قد أحدث فإن كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول في هذه الأمة أو في أمتي الشك منه خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر هذا الحديث حسن صحيح غريب
وقال أبو داود رحمه الله تعالى أيضا حدثنا محمد بن أبي كثير أخبرنا سفيان عن عمر بن محمد عن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم وهم شيعة الدجال وحق على الله أن يلحقهم بالدجال
وقال رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الله بن يزيد المقري أبو عبد الرحمن قال حدثني سعيد بن أبي أيوب قال حدثني عطاء بن دينار عن حكيم بن شريك الهذلي عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن ربيعة الحرشي عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم صحيح وقال رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن أبي سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي قال أتيت أبي بن كعب فقلت له وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي فقال لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالمهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار قال ثم أتيت

عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك قال ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي مثل ذلك وتقدم ذكر وصية عبادة لابنه في ذلك
وقال الترمذي رحمه الله تعالى حدثنا واصل بن عبد الأعلى أخبرنا محمد بن

فضيل عن القاسم بن حبيب وعلي بن نزار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية هذا حديث حسن غريب
وقال رحمه الله تعالى حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود أنبأنا شعبة عن منصور عن ربعي بن حراش عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا أله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر
وقال رحمه الله تعالى باب ما جاء من التشديد في الخوض في القدر حدثنا عبد الله بن معاوية الجنحي أنبأنا صالح المري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه
ولأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر قال وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب قال فقال لهم ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم قال فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشهده بما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده ورواه ابن ماجه ولأحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر
وله عن محمد بن عبيد المكي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قيل لابن عباس رضي الله عنهما إن رجلا قدم علينا يكذب بالقدر فقال دلوني عليه وهو يومئذ قد عمى قالوا وما تصنع به يا أبا عباس قال والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق إلياتهن مشركات هذا أول شرك هذه الأمة والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم

حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيرا كما أخرجوه من أن يكون قدر شرا
وروى البزار عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال ما نزلت هذه الآيات إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر القمر 47 49 إلا في أهل القدر
ولابن أبي حاتم عن ابن زرارة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر القمر 48 49
قال نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدد الله
وروى الحسن بن عرفة عن عطاء بن أبي رباح قال أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له تكلم في القدر فقال أو قد فعلوها قلت نعم قال فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر القمر 48 49 أولئك شرار هذه الأمة فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم إن رأيت أحدا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين

ذكر أقوال الصحابه في هذا الباب
تقدم قول ابن عمر ليحيى بن يعمر وقول أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت لابن الديلمي ووصية عبادة بن الصامت لابنه
وروى عبد الله بن أحمد عن ابن عباس قال أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب قال ما أكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وله عنه فكتب فيما كتب تبت يدا أبي لهب المسد 1 وله عنه قال أخرج الله ذرية آدم من ظهره مثل الذر فسماهم قال هذا فلان وهذا فلان ثم قبض قبضتين فقال للتي في يمينه أدخلوا الجنة وقال للتي في يده الأخرى ادخلوا النار ولا أبالي
وله عنه قال إن الرجل ليمشي في الأسواق وإن اسمه لفي الموتى
وله عنه يمحو الله ما يشاء ويثبت الرعد 39 قال إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت
وله عنه إن أول ما خلق القلم فأمره أن يكتب ما يريده أن يخلق فالكتاب

عنده ثم قرأ وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم الزخرف 4
وله عن عكرمة قال سئل ابن عباس كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير قال إن سليمان نزل منزلا فلم يدر ما بعد الماء وكان الهدهد مهندسا قال فأراد أن يسأله عن الماء ففقده قلت وكيف يكون مهندسا والصبي ينصب له الحبالة فيصيده قال إذا جاء القدر حال دون البصر

وله عن أبي الزبير أنه كان يطوف مع طاوس بالبيت فمر بمعبد الجهني فقال قائل لطاوس هذا معبد الجهني الذي يقول في القدر فعدل اليه طاوس حتى وقف عليه فقال أنت المفتري على الله القائل ما لا تعلم قال معبد يكذب علي قال أبو الزبير فعدلت مع طاوس حتى دخلنا على ابن عباس فقال له طاوس يا أبا عباس الذين يقولون في القدر فقال ابن عباس أروني بعضهم قال قلنا صانع ماذا قال إذن أجعل يدي في رأسه ثم أدق عنقه
وله عنه قال ليس قوم أبغض الي من القدرية إنهم لا يعلمون قدرة الله إن الله تعالى قال لا يسئل عما يفعل وهم يسألون الأنبياء 23
وله عن طاوس قال كنت مع ابن عباس في حلقة قال فذكروا أهل القدر قال فقال أفي الحلقة منهم أحد فآخذ برأسه ثم أقرآ عليه وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الإسراء 4 وأقرأ عليه آية كذا وآية كذا وله عنه وذكر عنده القدرية قال فقال لو رأيت أحدا منهم لعضضت أنفه

وله عنه قال الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن وكذب بالقدر فهو نقض للتوحيد
وفي لفظ فمن وحد وكذب بالقدر فقد نقض التوحيد
وله عن أبي يحيى مولى ابن عفراء قال أتيت ابن عباس ومعي رجلا من الذين يذكرون القدر أو ينكرونه فقلت يا ابن عباس ما تقول في القدر لو أن هؤلاء أتوك يسألونك وقال مرة يسألونك عن القدر إن زنا وإن سرق او شرب فحسر قميصه حتى أخرج منكبيه وقال يا أبا يحيى لعلك من الذين ينكرون القدر ويكذبون به والله لو اعلم أنك منهم أو هذين معك لجاهدتهم إن زنا فبقدر وإن سرق فبقدر وإن شرب الخمر فبقدر
وروى إسحاق بن الملائي عنه في قوله تعالى وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الأعراف 172 قال إن الله تعالى أخذ على آدم ميثاقه أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصيباته ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم وكتب رزقهم وأجلهم ومصيباتهم
وفي تفسير اسباط عن السدي عن أصحابه أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم في قوله وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الأعراف 172 الآية قال لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال

لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال هو والملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل الأعراف 172 الآية فلذلك ليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف إن الله ربه ولا مشرك إلا وهو يقول إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون الزخرف 23 فذلك قوله عز وجل وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الأعراف 172 وذلك حين يقول تعالى وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها آل عمران 83 وذلك حين يقول قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين الأنعام 149 قال يعني يوم الميثاق وعن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الجاثية 29 قال تستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب
وعنه رضي الله عنه قال كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن ثم بعث الحفظة على آدم وذريته وكل ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد ثم قرأ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الجاثية 29 وفي تفسير الضحاك عنه رضي الله عنه في هذه الآية قال هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة الذي يقتل والذي يغرق والذي يقع من فوق بيت والذي يتردى من جبل والذي يقع والذي يحرق بالنار فيحفظون عليه ذلك كله وإذا كان الشيء صعدوا به الى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوبا في الذكر الحكيم

وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه خلق الله الخلق قبضتين فقال لمن في يمينه ادخلوا الجنة بسلام وقال لمن في يده الأخرى ادخلوا النار ولا أبالي
ولعبد الله ابن الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لا يزال أمر هذه الأمة قواما أو مقاربا ما لم يتكلموا في القدر
وله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال حين طعن وكان أمر الله قدرا مقدورا الأحزاب 38
وله عن عبد الله بن الحارث الهاشمي قال خطب عمر رضي الله عنه بالجابية وفي لفظ بالشام والجاثليق ماثل فتشهد فقال من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له فقال الجاثليق بقميصه هكذا يعني نفضه وقال إن الله لا

يضل أحدا فقال ما يقول فقالوا ما قال فقال كذبت عدوا الله الله خلقك والله أضلك ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله والله لولا عقد لك لضربت عنقك ثم قال إن الله خلق آدم فنثر ذريته في يديه ثم كتب أهل الجنة وما هم عاملون وكتب أهل النار وما هم عاملون ثم قال هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه قال فتصدع الناس وما يتنازع في القدر

وقال علي رضي الله عنه ما من آدمي إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدر له فإذا جاء القدر خلاه وإياه
وله عنه رضي الله عنه قال وذكر عنده القدر يوما فأدخل إصبعه السبابة والوسطى في فيه فرقم بهما باطن يديه فقال أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب
وله عن أسير بن جابر قال طلبت عليا في منزله فلم أجده فنظرت فإذا هو في ناحية المسجد قال فقلت له كأنه خوفه قال فقال إيه ليس أحد إلا ومعه ملك يدفع عنه ما لم ينزل القدر فإذا نزل القدر لم يغن شيئا
وله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقال له رجل إنا نسافر فنلقى قوما يقولون لا قدر قال إذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء وهم منه براء ثلاث مرات
ولعبد الرزاق عن يحيى بن يعمر قال قلت لابن عمر إن أناسا عندنا يقولون الخير والشر بقدر وناس عندنا يقولون الخير بقدر والشر ليس بقدر فقال ابن عمر إذا رجعت اليهم فقل لهم إن ابن عمر يقول إنه منكم بريء وأنتم منه برآء
ولعبد الله بن أحمد عنه رضي الله عنه قال من زعم أن مع الله بارئا أو قاضيا أو رازقا أو يملك لنفسه ضرا أو نفعا أو موتا أو حياة أو نشورا بعثه الله يوم القيامة فأخرسه وأعمى بصره وجعل عمله هباء منثورا وقطع به الأسباب وكبه على وجهه في النار

وله عن نافع قال قيل لابن عمر إن قوما يقولون لا قدر فقال أولئك القدريون أولئك مجوس هذه الأمة
وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال مضت الكتب وجفت الأقلام فشقي أو سعيد فريق في الجنة وفريق في السعير
وله عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال رفع الكتاب وجفت الأقلام وأمور تقضى في كتاب قد خلا وفي رواية قضى القضاء وجف القلم وأمور تكفي في

كتاب قد خلا وله عنه رضي الله عنه قال سيكون ناس يصدقون بقدر ويكذبون بقدر فيلعنهم أبو هريرة عند قوله هذا
وله عن عمار مولى بني هاشم قال سألت أبا هريرة رضي الله عنه عن القدر فقال اكتفي بآخر سورة الفتح
وله عن أبي الحجاج الأزدي عن سليمان رضي الله عنه قال لقيته بماء سبذان قال فقلت له أخبرني كيف الإيمان بالقدر قال أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولا تقل لو كان كذا لكان كذا ولو نفعل كذا لكان كذا
وروى عبد الرزاق عن معمر قال قال عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري وددت أني وجدت من أخاصم إليه ربي فقال أبو موسى أنا فقال

عمرو بن العاص أيقدر علي شيئا يعذبني عليه فقال أبو موسى نعم قال لم قال لأنه لا يظلمك فقال عمرو صدقت
وله عن ابن الديلمي سألت عبد الله بن عمرو عن جف القلم فقال إن الله حين خلق الخلق ألقى عليهم من نوره فمن أصابه شيء منه اهتدى وكلام الصحابة في هذا الباب يطول ذكره وقد جمعت فيه التصانيف الكثيرة

ذكر أقوال التابعين

قال عبيد بن عمير إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم ونجواكم وحلاكم ومجالسكم
وقال سعيد بن جبير يحول بين المرء وقلبه الأنفال 24 قال يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان
وقال رحمه الله تعالى فذكر قصة بخت نصر وملك ابنه فرأى كفا فرجت بين لوحين ثم كتبت سطرين فدعا الكهان والعلماء فلم يجد عندهم منه علما فقالت له أمه إنك لو أعدت لدانيال منزلته التي كانت له من أبيك وكان قد جفاه أخبرك فدعاه فقال إني معيد لك منزلتك من أبي فأخبرنا ما هذان السطران قال أما ما ذكرت أنك معيد لي منزلتي من أبيك فلا حاجة لي بذلك وأما هذان السطران فإنك تقتل الليلة فأخرج من في القصر أجمعين وأمر بقفله جلاد فقفلت بها الأبواب عليه وأدخل معه آمن أهل القرية في نفسه معه سيف وقال له من جاء من خلق الله فاقتله وإن قال أنا فلان وبعث الله عليه البطن فجعل يمشي والآخر مستيقظ حتى إذا كان على شطر الليل رقد ورقد صاحبه ثم نبهه

البطن فذهب يمشي والآخر راقد فرجع فاستيقظ فقال أنا فلان وضربه بالسيف فقتله وقال ابن المسيب ما قدر الله فهو قدر
وكان إياس بن معاوية يقول أعلم الناس بالقدر ضعفاؤهم يقول إن كل

من لم يدخل في خصومة القدر كان من قوله إذا تكلم كان من قدر الله كذا
وكذا وقال معمر إن ابن شبرمة كان يغضب إذا قيل له مد الله في عمرك يقول إن العمر لا يزاد فيه ولا ينقص منه
وقال أبو حازم قال الله تعالى فألهمها فجورها وتقواها الشمس 8 قال فالفاجر ألهمها الله الفجور والتقية ألهمها الله التقوى
وقال مجاهد قول الله إني أعلم ما لا تعلمون قال علم من إبليس المعصية وخلقه لها
وعن إبراهيم بن أبي عبلة قال وقف رجاء بن حيوة على مكحول وأنا معه فقال يا مكحول بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر ووالله لو أعلم ذلك لكنت صاحبك من بين الناس فقال مكحول لا والله أصلحك الله ما ذاك من شأني ولا من قولي أو نحو ذلك
وقال أبراهيم النخعي إن آفة كل دين كان قبلكم أو قال آفة كل دين القدر
وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير لم نوكل في القرآن الى القدر وأخبرنا أنا اليه نصير وكان طاوس بمكة يصلي ورجلان خلفه يتجادلان في القدر فانصرف إليهما فقال يرحمكما الله تجادلان في حكم الله

وقال ميمون لا تسبوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا تعلموا النجوم ولا تجادلوا أهل القدر
وقال طاوس أيضا أدركت ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر
وقال أبو حازم لعن الله دينا أنا أكبر منه يعني التكذيب بالقدر يقول هذا عندما يروى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره
وعن عمرو بن محمد قال كنت عند سالم بن عبد الله فجاءه رجل فقال الزنا بقدر فقال نعم قال كتبه علي قال نعم قال ويعذبني عليه قال فأخذ له الحصى
وقال الحسن من كذب بالقدر فقد كذب بالقرأن

وقال مجاهد في قوله تعالى لهم أعمال من دون ذلك هم لها علملون المؤمنون 63 قال أعمال لا بد لهم من أن يعملوها
وعن أبي صالح ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك النساء 79 وأنا قدرتها عليك وقال حميد قدم الحسن مكة فقال لي فقهاء مكة الحسن بن مسلم وعبد الله بن عبيد لو كلمت الحسن فأخلانا يوما فكلمت الحسن فقلت يا أبا

سعيد إخوانك يحبون أن تجلس لهم يوما قال نعم ونعمت عين فواعدهم يوما فجاءوا واجتمعوا وتكلم الحسن وما رأيته قبل ذلك اليوم ولا بعده أبلغ منه ذلك اليوم فسألوه عن صحيفة طويلة فلم يخطئ فيها شيئا إلا في مسألة فقال له رجل يا أبا سعيد من خلق الشيطان قال سبحان الله سبحان الله وهل من خالق غير الله ثم قال إن الله تعالى خلق الشيطان وخلق الشر وخلق الخير فقال رجل منهم قاتلهم الله يكذبون على الشيخ
وقال أيضا قرأت على الحسن في بيت أبي خليفة القرآن أجمع من أوله الى آخره وكان يفسره على الإثبات
وقال خالد الحذاء قلت للحسن أرأيت آدم أللجنة خلق أم للأرض قال للأرض قال قلت أرأيت لو اعتصم قال لم يكن بد من أن يأتي على الخطيئة
وقال إياس بن معاوية ما كلمت أحدا من أهل الأهواء بعقلي كله إلا القدرية فإني قلت لهم ما الظلم فيكم فقالوا أن يأخذ الإنسان ما ليس له فقلت لهم فإن الله على كل شيء قدير
ولعبد الرزاق عن معمر قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة أما بعد فإن استعمالك سعد بن مسعود على عمان كان من الخطايا التي قدر الله عليك وقدر أن تبتلى بها
ولعبد الله بن أحمد عنه رضي الله عنه قال لو أراد الله أن لا يعصى لم

يخلق إبليس ثم قرأ ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم الصافات 163
وله عنه رضي الله عنه أنه قال لغيلان ألست تقر بالعلم قال بلى قال فما تريد مع أن الله يقول فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم الصافات 162 163
وله عن أبي جعفر الخطمى قال شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر فقال ويحك يا غيلان ما هذا الذي بلغني عنك قال يكذب

علي يا أمير المؤمنين ويقال علي ما لم أقل قال ما تقول في العلم قال قد نفذ العلم قال فأنت مخصوم إذهب الآن فقل ما شئت ويحك يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت وإن جحدته كفرت وإنك أت تقر به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر قال ثم قال له تقرأ يس فقال نعم فقال له اقرأ يس والقرآن الحكيم يس 1 2 فقرأ يس والقرآن الحكيم الى قوله لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون يس 1 7 قال قف كيف ترى قال كأني لم اقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين قال زد إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا يس 8 9 قال له عمر قل سدا فأغشيناهم قال قال له عمر قل فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون يس 9 10 قال كيف ترى قال كأني لم اقرأ هذه الايات وإني اعاهد الله ان لا اتكلم في شيء مما كنت اتكلم فيه ابدا قال اذهب فلما ولى قال اللهم ان كان كاذبا فيما قال فأذقه حر السلاح قال فلم يتكلم زمن عمر فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك جاء رجل لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه قال فتكلم غيلان فلما ولى هشام أرسل اليه فقال أليس قد عاهدت الله تعالى

لعمر أن لا تتكلم في شيء من هذا الأمر أبدا قال أقلني فلا والله لا أعود قال لا أقالني الله إن أقتلك هل تقرأ فاتحة الكتاب قال نعم قال اقرأها فقرأ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين الفاتحة 2 5 قال قف علام تستعينه على أمر بيده لا تستطيعه إلا به أو على أمر في يدك أو بيدك اذهبا به فاقطعا يديه ورجليه واضربوا عنقه واصلبوه
قال ابن عون أنا رأيت غيلان مصلوبا على باب دمشق
وعنه قال في أصحاب القدر فإن تابوا وإلا نفوا من دار المسلمين وقال مالك عن عمه سهل قال كنت مع عمر بن عبد العزيز فقال لي ما ترى في هؤلاء القدرية قال قلت أرى أن تستتيبهم فإن قبلوا وإلا عرضتهم على السيف فقال عمر بن عبد العزيز ذلك رأيي قلت أسألك فما رأيك أنت قال هو رأيي القائل لمالك فما رأيك هو إسحاق بن عيسى
وكان نافع مولى ابن عمر يقول لأمير كان على المدينة أصلحك الله اضرب أعناقهم يعني القدرية
وقال ابن سيرين إن لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون في آيات الله فلا أدري من هم
وقال مجاهد لا يكون مجوسية حتى يكون قدرية ثم تزندقوا ثم تمجسوا

وقال منصور بن عبد الرحمن سألت الحسن عن قوله تعالى ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك هود 118 فقال الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك ومن رحم غير مختلف فيه فلقنته ولذلك خلقهم قال نعم خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه
وقال أيضا قلت للحسن قوله تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها الحديد 22 قال قسمة الله ومن يشك في هذا كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله تعالى قبل أن يبرأ النسمة
وقال محمد بن كعب القرظي نزلت هذه الآية يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر القمر 47 49 في أهل القدر وفي رواية عنه قال نزلت تعييرا لأهل القدر
وعنه أن الفضل الرقاشي قعد اليه فذاكره شيئا من القدر فقال له محمد بن كعب القرظي تشهده فلما بلغ من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هاد له رفع محمد عصا معه فضرب بها رأسه وقال قم فلما قام فذهب قال لا يرجع هذا عن رأية أبدا
وقال مطر رحمه الله لقيني عمرو بن عبيد فقال والله إني وإياك لعلى أمر واحد قال كذب والله إنما عنى على الأرض وقال والله ما أصدقه في شيء

وعن ثابت البناني قال رأيت عمرو بن عبيد وهو يحك المصحف فقلت ما تصنع فقال أثبت مكانه خيرا منه
وعن حماد بن زيد قال كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم فمر بهم عمرو بن عبيد فسلم عليهم ووقف وقفته فما ردوا عليه السلام ثم جاز فما ذكروه
وعن الحسن بن شقيق قال قلت لعبد الله يعني ابن المبارك سمعت من عمرو بن عبيد قال هكذا بيده أي كثيرا قلت فلم لا تسميه وأنت تسمي غيره من القدرية قال لأن هذا كان رأسا
وعن معاذ بن مكرم قال رآني ابن عون مع عمرو بن عبيد في السوق فأعرض عني قال فاعتذرت اليه قال أما إني قد رأيتك فما زادني وعن أبي بحر البكراوي قال قال رجل لعمرو يعني ابن عبيد وقرأ عنده هذه الآية بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ البروج 22 فقال له أخبرني عن تبت يدا أبي لهب المسد 1 كانت في اللوح المحفوظ قال ليست هكذا كانت قالوا وكيف كانت قال كانت تبت يدا من عمل بمثل ما عمل أبو لهب فقال له الرجل وهكذا ينبغي لنا أن نقرأ إذا قمنا إلى الصلاة فغضب عمرو فتركه حتى سكن ثم قال له يا أبا عثمان أخبرني عن تبت يدا أبي لهب كانت في للوح المحفوظ فقال ليس هكذا كانت

قال فكيف كانت قال تبت يدا من عمل بمثل عمل أبي لهب قال فرددت عليه قال عمرو إن علم الله ليس بسلطان إن علم الله لا يضر ولا ينفع قلت إن كان قال هذا ومات عليه

فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وإن كان ذلك مكذوبا عليه فلعنه الله على الكاذبين
وعن سلام بن أبي مطيع قال كنت أمشي مع أيوب في جنازة وبين أيدينا ثلاثة رهط قد كانوا مع عمرو بن عبيد في الإعتزال ثم تركوا رأيه ذلك وفارقوه قال فقال لي أيوب من غير أن أسأله لا ترجع قلوبهم الى ما كانت عليه
وعن أبي رجاء قال رأيت رجلين يتكلمان في المربد في القدر فقال فضل الرقاشي لصاحبه لا تقر له بالعلم إن أقررت له بالعلم فأمكنت من نفسك يسحبك عرض المربد
وعن حوثرة بن أشرس قال سمعت سلاما أبا المنذر غير مرة وهو يقول سلوهم عن العلم هل علم أو لم يعلم فإن قالوا قد علم فليس في أيديهم شيء وإن قالوا لم يعلم فقد حلت دماؤهم
قال حوثرة وحدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي قال قيل لعمر بن عبد العزيز إن غيلان يقول القدر كذا وكذا قال فمر به فقال أخبرني عن العلم قال سبحان الله فقد علم الله كل نفس ما هي عاملة والى ما هي صائرة فقال عمر بن عبد العزيز والذي نفسي بيده لو قلت غير هذا لضربت عنقك اذهب الآن فجاهد جهدك
وعن معاد بن معاذ قال صليت خلف رجل من بني سعد ثم بلغني أنه قدري فأعدت الصلاة بعد أربعين سنة أو ثلاثين سنة
وقال ابراهيم بن طهمان الجهمية كفار والقدرية كفار

وقال عمرو بن دينار قال لنا طاوس اخزوا معبد الجهني فإنه قدري
وقال الحسن بن محمد بن علي لا تجالسوا أهل القدر وقال عكرمة ابن عمار سمعت القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله يلعنان القدرية الذين يكذبون بقدر الله حتى يؤمنوا بخيره وشره
وقال مرحوم بن عبد العزيز العطار سمعت أبي وعمي يقولان سمعنا الحسن وهو ينهى عن مجالسة معبد الجهني يقول لا تجالسوا معبدا فإنه ضال مضل
قال مرحوم قال أبي ولا أعلم أحدا يومئذ يتكلم في القدر غير معبد ورجل من

الأساورة يقال له سسوية
وقال عكرمة سألت يحيى بن أبي كثير عن القدرية فقال هم الذين يقولون إن الله لم يقدر الشر
وقال مسلم بن يسار إن معبدا يقول بقول النصارى
وقال عمارة بن زاذان بلغني أن القدرية يحشرون يوم القيامة مع المشركين فيقولون والله ما كنا مشركين فيقال لهم إنكم أشركتم من حيث لا تعلمون قال وبلغني أنه يقال لهم يوم القيامة أنتم خصماء الله عز وجل
وقال عبد الله بن أحمد سمعت أبي يقول لا يصلى خلف القدرية والمعتزلة والجهمية

وسألت أبي مرة أخرى عن الصلاة خلف القدري فقال إن كان يخاصم فيه أو يدعو اليه فلا يصلي خلفه
سمعت أبي وسأله علي بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافر قال إذا جحد العلم إذا قال إن الله لم يكن عالما حتى خلق علما فعلم فجحد علم الله فهو كافر اه من كتاب السنة
وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة من القرون الثلاثة المفضلة يطول ذكره ومحله كتب النقل الجامعة وفيما ذكرنا كفاية ولله الحمد والمنة
اللهم يا ربنا ومليكنا وإلهنا قد علمت من سعد بطاعتك والجنة ومن شقى بمعصيتك والنار وكتبت ذلك وسطرته وقدرته وقضيته وشملت الجميع قدرتك ونفذت فيه مشيئتك ولك الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولا يدري عبدك في أي القسمين ولا في أي القبضتين هو وأنت تعلم اللهم إياك نعبد إيمانا بكتبك وتصديقا لرسلك وانقيادا لشرعك وقياما بأمرك ودينك وإياك نستعين إيمانا بربوبيتك واستسلاما لقضائك وقدرك وافتقارا إليك وتوحيدا لك في إلهيتك وربوبيتك وأسمائك وصفاتك وخلقك وتكوينك ولا مشيئة إلا أن تشاء ولا قدرة لنا إلا على ما أقدرتنا عليه ولا معصوم إلا من عصمت ولا حول ولا قوة إلا بك اللهم اجعلنا ممن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فيسرته لليسرى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا غير المغضوب عليهم ممن علم الحق وكتمه وتركه وأباه واشترى بآياتك ثمنا قليلا ولا الضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا اللهم يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيننا وبين معصيتك والكفر يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك حتى نلقاك به ربنا لا نزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب آل عمران 8

الكلام على خصال ست في نفيها إيمان بالقدر
لا نوء لا عدوى ولا طير ولا ... عما قضى الله تعالى حولا ... لا غول لا هامة ... ولا صفر ... كما بذا خبر سيد البشر
هذان البيتان من تتمة بحث القدر فإن نفي هذه الخصال الست وما في معناها إيمان بالقدر وتوكل على خالق الخير والشر الذي بيده النفع والضر واعتقاد صحة شيء منها شرك مناف للتوحيد أو لكماله مناقض للتوكل على الله عز وجل عياذا بالله منه
الكلام على النوء
فأما النوء فهو من الاعتقاد في النجوم الذي سبق بسط القول في بيان بطلانه فإنهم يعتقدون أن لمطالع الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها واقترانها وافتراقها تأثيرا في هبوب الرياح وسكونها وفي مجيء المطر وتأخره وفي رخص الاسعار وغلائها وغير ذلك فإذا وقع شيئ من الحوادث نسبوه الى النجوم فقالوا هذا بنوء عطارد أو المشتري او المريخ او كذا او كذا
ورد الله تعالى ذلك عليهم وأكذبهم بما أنزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير الروم 48 50 وقال تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزل من السماء

ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين لقمان 10 11 وقال تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم الى قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الواقعة 75 82
وقال الإمام مالك بن أنس في موطئه رحمه الله تعالى باب الاستمطار بالنجوم عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال
قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك

كافر بي مؤمن بالكوكب ورواه الشيخان من طريقه بلفظه وعليه ترجم البخاري رحمه الله تعالى باب قول الله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الواقعة 82
وقال مسلم ابن الحجاج رحمه الله تعالى حدثنا حرملة بن يحيى وعمر بن سواد العامري ومحمد بن سلمة المرادي قال المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن يونس وقال الآخران أخبرنا ابن وهب قال آخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تروا الى ما قال ربكم قال ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب وبالكواكب

وحدثني محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث وحدثني عمرو بن سواد أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولى أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكواكب كذا وكذا وفي حديث المرادي بكوكب كذا وكذا
وحدثني عباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة وهو ابن عمار حدثنا أبو زميل قال حدثنا ابن عباس قال مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الواقعة 75 82
وقال الترمذي رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الواقعة 82 قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا هذا حديث حسن غريب ورواه الإمام أحمد وابن أبي حاتم
وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم

كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا قال محمد هو ابن إبراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال ونحن قد سمعنا من أبي هريرة
وقال رحمه الله تعالى حدثني يونس أخبرنا سفيان عن إسماعيل ابن أمية فيما أحسبه أو غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض عثانين الأسد فقال صلى الله عليه وسلم كذبت بل هو رزق الله عز وجل وقال رحمه الله تعالى حدثني أبو صالح الصراري حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأزدي حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين ثم قال وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الواقعة 82 يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا
وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه بلغه أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول إذا أصبح وقد مطر الناس مطرنا بنوء الفتح ثم يتلو هذه الآية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده فاطر 2
وروى ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وقرأ ابن عباس وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الواقعة 82 وهذا إسناد صحيح الى ابن عباس

ما ورد في العدوى

وأما العدوى فكانوا يعتقدون سريان المرض من جسد الى جسد بطبيعته فنفى الله تعالى ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون التوبة 51 وقال تعالى ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه التغابن 11 وقال تعالى قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين آل عمران 168 وقال تعالى أينما تكونوا يدركك الموت ولو كنتم في بروج مشيدة النساء 78 الآيات وقال تعالى قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم الجمعة 8
وروى البخاري عن الزهري قال أخبرني سنان بن أبي سنان الدؤلي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا عدوى فقام أعرابي فقال أرأيت الإبل تكون في الرمال أمثال الظباء فيأتيها البعير الأجرب فتجرب قال
النبي صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول ورواه مسلم من طريق آخر

بنحوه
وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثني محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا وما الفال قال كلمة طيبة ورواه مسلم

ولهما من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر هذا لفظ البخاري
والأحاديث في نفي العدوى كثيرة في الصحيحين والسنن وغيرهما ولا يعارض ذلك حديث لا يورد ممرض على مصح وحديث وفر من المجدوم فرارك من الأسد وكلاهما في الصحيح متصلا بحديث لا عدوى ولا طيرة فإن البخاري رحمه الله تعالى قال حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال إن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عدوى قال أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا توردوا الممرض على المصح
وقال رحمه الله تعالى قال عفان حدثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء قال سمعت أبا هريرة يقول
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد
الجمع بين نفي العدوى وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح
والجمع بين نفي العدوى وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح والأمر بالفرار من المجذوم وما في معناها من ثلاثة أوجه كلها نفي العدوى فيها على إطلاقه
الوجه الأول أنه صلى الله عليه وسلم أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شيء من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية فيظن أنه بسبب المخالطة فيعتقد ثبوت العدوى

التي نفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقع في الحرج فأمر صلى الله عليه وسلم بتجنب ذلك شفقة منه على أمته ورحمة بهم وحسما للمادة وسدا

للذريعة لا إثباتا للعدوى كما يظن بعض الجهلة من الأطباء والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
للأعرابي الذي استشهد لصحة العدوى بكون البعير الأجرب يدخل في الإبل الصحاح فتجرب فقال له صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول يعني أن الله تعالى ابتدأ المرض في الباقي كما ابتدأه في الأول لا أن ذلك من سريان المرض بطبيعته من جسد الى آخر
الوجه الثاني أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن المخالطة لأنها من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي الى مسبباتها لا استقلالا بطبعها ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسباب ومسبباتها فإن شاء تعالى أبقى السبب وأثر في مسببه بقضاء الله تعالى وقدره وإن شاء سلب قواها فلا تؤثر شيئا ومن قوي إيمانه وكمل توكله وثقته بالله وشاهد مصير الامور كلها الى رب الأرباب ومسبب الأسباب كما أن مصدرها من عنده عز وجل فنفسه أبيه وهمته علية وقلبه ممتلئ بنور التوحيد فهو واثق بخالق السبب ليس لقلبه الى الأسباب ادنى التفات سواء عليه فعلها أو لم يفعلها والدليل على ذلك ما روى أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا يونس بن محمد حدثنا مفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فوضعها معه في القصعة وقال
كل ثقة بالله وتوكل عليه ففي أمره صلى الله عليه وسلم بمجانبة المجذوم إثبات للأسباب التي خلقها الله عز وجل وفي أكله صلى الله عليه وسلم معه تعليم لنا بأن الله هو مالكها فلا تؤثر إلا بإذنه ولا يصيب العبد إلا ما كتب الله له
الوجه الثالث أن النفوس تستقذر ذلك وتنقبض عند رؤيته وتشمئز من مخالطته وتكرهه جدا لا سيما مع ملامسته وشم رائحته فيحصل بذلك تأثير بإذن

الله في سقمها قضاء من الله وقدرا لا بانتقال الداء بطبيعته كما يعتقده أهل الجاهلية والدليل على هذا ما رواه أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا مخلد بن خالد وعباس العنبري قالا حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن عبد الله بن بحير قال أخبرني من سمع فروة بن مسيك قال قلت يا رسول الله أرض عندنا - يقال لها أرض أبين هي أرض ريفنا وميرتنا وإنها وبئة أو قال وباؤها شديد فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعها عنك فإن من القرف التلف والقرف بالتحريك هو مقاربة الوباء ومداناة المرض والتلف بوزنه هو الهلاك يعني أنه سبب فيه قد يؤثر بإذن الله تعالى لا سيما مع كراهة النفس له واشمئزازها منه فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين يوسف 64
فإذا تبين لك هذا الجمع بين نفي العدوى وبين الأمر بمجانبة الداء تبين لك الجمع بينها وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح فإنه إذا كان صلى الله

عليه وسلم قد أمر المصح بمجانبة الداء فلأن ينهى الممرض عن إيراده على المصح من باب أولى فإن العلل التي قدمنا أنها من سبب النهي عن القدوم على الوباء والأمر بمجانبته موجودة في إيراد الممرض على المصح بزيادة كونها ليست باختيار المصح كقدومه هو بل مع كراهته لها وانقباضه من ذلك الممرض وربما أدى ذلك إلى بغضه إياه وغير ذلك والمقصود أن نفي العدوى مطلق على عمومه وفيه إفراد الله سبحانه وتعالى بالتصرف في خلقه وأنه مالك الخير والشر وبيده النفع والضر لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولا مغالب له في شيء من خلقه وأمره وفي ذلك تقوية لقلوب المؤمنين وإمداد لهم بقوة التوكل وصحة اليقين وحجة لهم على المشركين وسائر المعاندين وليس في الأمر بمجانبة البلاء ولا في النهي عن إيراده على المعافى منه منافاة ولا مناقضة بل ذلك مع الثقة بالله والتوكل عليه من فعل الأسباب النافعة وتوقى الأسباب المؤذية ودفع القدر بالقدر والإلتجاء من الله اليه

وليس في فعل الأسباب ما ينافي التوكل مع اعتماد القلب على خالق السبب وليس التوكل بترك الأسباب بل التوكل من الأسباب وهو أعظمها وأنفعها وأنجحها وأرجحها كما أن من اضطربت نفسه ووجل قلبه فرقا وخوفا وارتيابا وعدم يقين بالقدر لا يكون متوكلا على الله بمداناته المرضى والمبتلين وتركه فعل الأسباب فكما لا يكون المرتاب متوكلا بمجرد تركه الأسباب وكذلك لا يكون الموحد تاركا التوكل او ناقصه بمجرد فعل الاسباب النافعة وتوقي المضرة وحرصه على ما ينفعه فإنما الشأن فيما وقر في القلوب وسكنت اليه النفوس والتوفيق بيد الله والمعصوم من عصمه الله تعالى
ومن هذا الباب نهيه صلى الله عليه وسلم عن القدوم على البلاد التي بها الطاعون وعن الخروج منها فرارا منه فإن في القدوم عليه تعرضا للبلاء والقاء بالأيدي الى التهلكة وتسببا للأمور التي اجرى الله تعالى العادة بمضرتها وفي الفرار منه تسخط لقضاءالله عز وجل وارتياب في قدره وسوء ظن بالله عز وجل فأين المهرب من الله والى أين المفر لا ملجأ من الله الا اليه كما روى مالك في موطئه عن ابن شهاب عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب ادع الى المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه وقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال عمر

ارتفعوا عني ثم قال ادع لي الأنصار فدعاهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال ارتفعوا عني ثم قال ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوهمفلم يختلف عليه منهم رجلان فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة أفرار من قدر الله فقال عمر لو غيرك

قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائبا في بعض حاجته فقال إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرار منه قال فحمد الله عمر ثم انصرف وأخرجه الشيخان من طريقه بلفظه وقوله صلى الله عليه وسلم فلا تخرجوا فرارا منه تقييد للنهي بخروج لقصد الفرار فلا يدخل في ذلك من خرج لحاجته اللازمة كما قيد صلى الله عليه وسلم الشهادة به للماكث ببلده بما إذا كان صابرا محتسبا صحيح اليقين ثابت العزيمة قوي التوكل مستسلما لقضاء الله عز وجل كما قال البخاري رحمه الله تعالى باب أجر الصابر في الطاعون حدثنا اسحق أخبرنا حبان حدثنا داود بن أبي الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها أنها أخبرتنا أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد فخرج بهذه الأوضاف من مكث في أرضه مع نقصان توكله وضعف يقينه فليس له هذه الفضيلة ومع هذا فلا يحل له الفرار منه لعموم النهي وله أجره على امتثال الشرع بحسب نيته وقوةإيمانه وإن خرج فرار منه فهي معصية أضافها الى ارتيابه وضعف يقينه والعياذ بالله وعلى هذا يحمل حديث أنس عند البخاري أيضا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون شهادة

لكل مسلم فإن مفهوم الحديث الأول أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيدا وذلك لضعف يقينه وقد يقال هو شهيد في الصورة وليس مثل المتصف بتلك الصفات كما أن شهداء المعركة الذين يقتلون في معركة الكفار ليسوا سواء بل يتفاوتون بتفاوت نياتهم وما في قلوبهم وذلك معلوم من الدين بالضرورة والله تبارك وتعالى أعلم

الكلام على الطيرة والتطير والغول

وأما الطيرة فهي ترك الإنسان حاجته واعتقاده عدم نجاحها تشاؤما بسماع بعض الكليمات القبيحة كيا هالك أو يا ممحوق ونحوها وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت قالوا إنها ناعبة أو مخبرة بشر وكذا التشاؤم بملاقاة الاعور أو الاعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقدا عدم نجاحها وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقدا عدم نجاحها وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار حتى يبيع من غيره تشاؤما به وكراهة له وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيرا قط وكثير من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه في حال خروجه كما إذا عثر أو شيك يرى أنه لا يجد خيرا ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الساعات كالحادي والعشرين من الشهر وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك فلا يسافر فيها كثير من الناس ولا يعقد فيها نكاحا ولا يعمل فيها عملا مهما ابتداء يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس وكذا التشاؤم ببعض الجهات في بعض الساعات فلا يستقبلها في سفر ولا أمر حتى تنقضي تلك الساعة أو الساعات وهي من أكاذيب المنجمين الملاعين يزعمون أن هناك فلكا دوارا يكون كل يوم أو ليلة في جهة من الجهات فمن استقبل تلك الجهة في الوقت الذي يكون فيها هذا الفلك لا ينال خيرا ولا يأمن شرا وهم في ذلك كاذبون مفترون قبحهم الله

ولعنهم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعض الطيور على البيوت يرون أنها معلمة بشر وكذا صوت الثعلب عندهم ومن ذلك الاستقسام بتنفير الطير والظباء فإن تيامنت ذهبوا لحاجتهم وإن تياسرت تركوها وهذا من الاستقسام بالأزلام الذي أمر الله تعالى باجتنابه وأخبر أنه رجس من عمل الشيطان وهذا وما شاكله كثير منه كان في الجاهلية قبل النبوةوقد أبطله الإسلام فأعاده الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كان عليه في الجاهلية بأضعاف مضاعفة ووسع دائرة ذلك وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم أرادهم الله وألحقهم به آمين قال الله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا

بموسى ومن معه ألا إن طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون الأعراف 131 وقال تعالى ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون النمل 45 47 وقال تعالى في قصة الثلاثة رسل عيسى قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين قالوا إنا تطيرنا بكم يس 16 18 قال مجاهد في قوله تعالى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه قالوا العافية والرخاء نحن أحق بها وإن تصيبهم سيئة قال بلاء وعقوبة يطيروا بموسى قال يتشاءموا به

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ألا إنما طائرهم عند الله الأعراف 131 قال الأمر من قبل الله وقال رضي الله عنه في قوله طائركم عند الله النحل 47 قال الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم وتقدم ذكر الطيرة ونفيها في الأحاديث السابقة

وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عثمان بن

عمر حدثنا يونس عن الزهري عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عدوى ولا طيرة و الشؤم في ثلاث في المرأة والدار والدابة والشؤم ضد اليمن وهو عدم البركة والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التي لا تلد أو اللسنة المؤذية أو المبذرة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب أو السيئة الجيران وما في معنى ذلك وكذا الدابة التي لا تلد ولا نسل لها أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع وما في معنى ذلك فهذا كله شيء ضروري مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقده ليس من هذا لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها وانتفائها فيعتقدون أنه إن كان غنيا افتقر ليس بتبذيرها بل لنحاستها عليه وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لا بسبب محسوس بل عندهم أن لها نجما لا يوافق نجمة بل ينطحه ويكسره وذلك من وحي الشيطان يوحيه الى أوليائه من المشركين قال الله تعالى وإن الشياطين ليوحون الى أوليائهم الأنعام 121 وقال الله تعالى إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون الأعراف 27

حتى إن رجلا في زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك ويفرق به بين المرء وزوجه فتنبه له بعض العامة ممن يحضر مجالس الذكر ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالآيات والأحاديث فقال له إني أريد أن أنكح امرأة ما ترى فيها هل هي سعذد لي أو نحس علي فعرض ذلك على قواعده الشيطانية ثم قال له دعها فإنك أخذتها لا تبلى معها ثوبا يعني يموت سريعا لا تطول معها صحبته

وكانت تلك المرأة التي سأله عنها وسماها له هي زوجته وقد طالت صحبته معها وله منها نحو خمسة من الأولاد فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا فقال له هؤلاء أولادي منها ولهذا نظائر كثيرة من خرافاتهم

والمقصود أن الشؤم المثبت في هذا الحديث أمر محسوس ضروري مشاهد ليس من باب الطيرة المنفية التي يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم
وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا طيرة وخيرها الفأل قالوا وما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم
قال حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة
قلت ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو وقال سهل الله أمركم الحديث وما شاكله
ومن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه وأن لا يكون مقصودا بل أن يتفق للانسان ذلك من غير أن يكون له على بال ومن البدع الذميمة والمحدثات الوخيمة مأخذ الفأل من المصحف فإنه من اتخاذ آيات الله هزوا ولعبا ولهوا ساء ما يعملون وما أدري كيف حال من فتح على قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل المائدة 78 وقوله وغضب الله عليه ولعنه النساء 93 وأمثال هذه الآيات ويروى أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المروانية وأنه تفاءل يوما ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ابراهيم 15 الآيات فيقال إنه أحرق المصحف غضبا من ذلك وقال أبياتا لا نسود بها الأوراق والمقصود أن هذه بدعة قبيحة والفأل إذا قصده المتفائل فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام وقد روى الإمام أحمد في تعريف الطيرة حديث الفضل بن العباس رضي الله عنهما إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك

وروى في كفارتها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه وقفه من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا فما كفارة ذلك قال أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك

وقال أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الطيرة شرك ثلاثا وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل وقوله وما منا إلا الخ هو من كلام ابن مسعود كما فصله الترمذي رحمه الله في روايته عن المرفوع حيث قال سمعت محمد بن إسماعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل كل هذا عندي قول عبد الله بن مسعود وقال رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة قالا حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن عامر قال أحمد القرشي قال ذكرت الطيرة عند رسول اله صلى الله عليه وسلم فقال أحسنها الفأل ولا ترد مسلما فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع الشيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك
وأما الغول فهي واحد الغيلان وهي من شر شياطين الجن وسحرتهم

والنفي لما كان يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الضر والنفع وكانوا يخافونهم خوفا شديدا ويستعيذون ببعضهم من بعض كما قال تعالى عنهم وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا الجن 6 زاد الإنس الجن جرأة عليهم وشرا وطغيانا وزادتهم الجن إخافة وخبلا وكفرانا وكان أحدهم إذا نزل واديا قال أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائه فيأتي الشيطان فيأخذ من مال هذا المستعيذ أو يروعه في نفسه فيقول يا صاحب الوادي جارك أو نحو ذلك فيسمع مناديا ينادي ذلك المعتدي أن اتركه أو دعه أو ما أشبه ذلك فأبطل الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ذلك ونفى أن يضروا أحدا إلا بإذن الله عز وجل وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذة بجبار السموات والارض رب الكون وخالقه ومالكه والهه وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر فقال الله تبارك وتعالى وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون المؤمنون 97 وقال تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الأعراف 200 وقال تعالى قل أعوذ برب الفلق الفلق 1 الى آخر السورة قل أعوذ برب الناس الناس 1 الى اخر السورة وغيرها من الآيات
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هاتين السورتين ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها
وقال صلى الله عليه وسلم من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك وهو في الصحيح وفي بعض الأحاديث إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان وفي الحديث الصحيح

إن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله ضراط وفي لفظ حصاص وأحاديث الاستعاذة والأذكار في طرد الشيطان وغيره كثيرة مشهورة مسبورة في مواضعها من كتب السنة وأما قول من قال إن المراد في الحديث نفي وجود الغيلان مطلقا فليس بشيء لأن ذلك مكابره للأمور المشاهدة المعلومة بالضرورة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقبله وبعده من إتيانهم وانصرافهم ومخاطبتهم وتشكلهم والله أعلم
وأما الهامة والصفر فقالوا أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية قال قلت لمحمد يعني ابن راشد قوله هام قال كانت الجاهلية تقول ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة قلت فقوله صفر قال سمعت أهل الجاهلية يستشئمون بصفر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا صفر قال محمد وقد سمعنا من يقول هو وجع يأخذ في البطن فكانوا يقولون هو يعدي فقال لا صفر وقال رحمه الله حدثنا يحيى بن خلف حدثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج عن عطاء قال يقول الناس الصفر وجع يأخذ في البطن قلت فما الهامة قال يقول الناس الهامة التي تصرخ هامة الناس وليست بهامة الإنسان إنما هي دابة وقال رحمه الله قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم أشهب قال سئل مالك عن قوله لا صفر قال إن أهل الجاهلية كانوا يحلون صفر يحلونه عاما ويحرمونه عاما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا صفر

قلت وكل هذه المعاني لهذه الألفاظ قد اعتقدها الجهال وكلها بجميع معانيها المذكورة منفية بنص الحديث ولله الحمد والمنة

مرتبة الإحسان
وثالث مرتبة الإحسان ... وتلك أعلاها لدى الرحمن ... وهي رسوخ القلب ... في العرفان ... حتى يكون الغيب كالعيان
هذه المرتبة هي الثالثة من مراتب الدين المفصلة في حديث جبريل المتقدم وهي أعلى مراتب الدين وأعظمها خطرا وأهلها هم المستكملون لها السابقون

بالخيرات المقربون في علو الدرجات وقد قدمنا أن الإسلام هو الأركان الظاهرة عند التفصيل واقترانه بالإيمان والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة والاحسان هو نحسين الظاهر والباطن وأما عند الاطلاق فكل منها يشمل دين الله كله وقد جاء الاحسان في القرآن في مواضع كثيرة تارة مقترنا بالإيمان وتارة بالتقوى وتارة بهما معا وتارة بالجهاد وتارة بالإسلام وتارة بالعمل الصالح مطلقا قال الله تبارك وتعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين المائدة 93 وقال تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون النحل 128 وقال تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا الكهف 30 وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين العنكبوت 69 وقال تعالى بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجر عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون البقرة 112 وقال تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى لقمان 22
وتارة بالإنفاق في سبيل الله وهو من الجهاد كقوله تعالى وأنفقوا في سبيل

الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين البقرة 195 وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم تفسيرا لا يستطيعه من المخلوقين احد غيره صلى الله عليه وسلم لما أعطاه الله تعالى من جوامع الكلم فقال صلى الله عليه وسلم
الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك أخبر صلى الله عليه وسلم أن مرتبة الإحسان على درجتين وأن للمحسنين في الإحسان مقامين متفاوتين
المقام الأول وهو أعلاهما أن تعبد الله كأنك تراه وهذا مقام المشاهدة وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته الله عز وجل بقلبه وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان فمن عبد الله عز وجل على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم وفي حديث حارثة المرسل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
له يا حارثة كيف أصبحت قال أصبحت مؤمنا حقا قال انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني أنظر أهل الجنة في الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار في النار كيف يتعاوون فيها قال أبصرت فالزم عبد نور الله تعالى بصيرته
المقام الثاني مقام الإخلاص وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله

إياه وإطلاعه عليه وقربه منه فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات الى غير

الله وإرادته بالعمل وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة الى المقام الأول ولهذا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم تعليلا للأول
فقال فإن لم تكن تراه فإنه يراك وفي بعض ألفاظ الحديث فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك فإذا تحقق في عبادته بأن الله تعالى يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره ولا يخفى عليه شيء من أمره فحينئذ يسهل عليه الانتقال الى المقام الثاني وهو دوام التحقيق بالبصيرة الى قرب الله تعالى من عبده ومعيته حتى كأنه يراه وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذا المعنى في غير ما موضع من القرآن كما قال تبارك وتعالى وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم يونس 61 64 وقال تبارك وتعالى و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي يؤمنوا بي لعلهم يرشدون البقرة 186 وقال تبارك وتعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم الشعراء 217 220 وغير ذلك من الآيات
فأولياء الله المتقون المحسنون هم الذين آمنوا بالله عز وجل وبإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفردوه بالعبادة محبة وتذللا وانقياد وخوفا ورجاء ورغبة ورهبة وخشية وخشوعا ومهابة وتعظيما وتوكلا عليه وافتقارا اليه واستغناء به عما سواه واتقوه بامتثال أوامره ومحبة مرضاته وترك مناهيه وموجبات سخطه سرا وعلنا وظاهرا وباطنا قولا وعملا واعتقادا واستشعرت قلوبهم ونفوسهم إحاطة الله عز وجل بهم علما وقدرة ولطفا وخبرة بأقوالهم ونياتهم وأسرارهم وعلانياتهم وحركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم كيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا فكان عملهم خالصا لله موافقا لشرعه مناطا بما جاءت به رسله ونطقت به كتبه مستحضرين ذلك بقلوبهم نافذة فيه بصائرهم فأخلصوا لله العمل وراقبوه مراقبة

من ينظر الى ربه لكمال علمهم بأن الله ينظر اليهم ويرى حالهم ويسمع

مقالهم فطرحواالنفوس بين يديه بكليتهم عليه والتجأوا منه اليه وعاذوا به منه واحبوه من كل قلوبهم فامتلأت بنور معرفته فلم تتسع لغيره فبه يبصرون وبه يسمعون وبه يبطشون وبه يمشون وبرؤيتهم يذكر الله تعالى بذكره يذكرون
وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الاعمش سمعت أبا صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وإن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة
وقال رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله عليه وسلم
إن الله تعالى قال من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الى مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لاعطينه ولئن عاذ بي لاعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته
ذكروا الله تعالى فذكرهم وشكروه فشكرهم وتولوه ووالوا فيه فتولاهم وعادوا اعداءه لاجله فآذن بالحرب من عادهم واحسنوا عبادة ربهم فأحسن جزاءهم واجزله عبدوه على قدر معرفتهم به فجازاهم بفضله وزادهم للذين

أحسنوا الحسنى وزيادة يوسف 26 هل جزاء الإحسان إلا الإحسان الرحمن 60 ولما ذكر أهل الجنة وما وعدهم به من النعم وصفهم أن ذلك جزاء إحسانهم فقال إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين الذريات 16 ثم فسر إحسانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم الذريات 17 19 قدمنا في الفصل الأول أن الحسنى التي وعد الله عز وجل المحسنين هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه الله عز وجل كما رواه مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كانوا يعبدون الله عز وجل في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنهم يرونه بقلوبهم وينظرون اليه في حال عبادتهم إياه كان جزاؤهم على ذلك النظر الى وجهه تبارك وتعالى في الآخرة عيانا بأبصارهم وعكس هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقال تعالى فيهم كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون المطففين 15 لما كان حالهم في الدنيا التكذيب وأعقبهم ذلك التكذيب تراكم الران على

قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة وذلك قول الله عز وجل ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى النجم 31 ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار البقرة 201
هذا آخر ما يسر الله تعالى من الكلام على مفردات حديث جبريل وقد قال ابن رجب رحمه الله تعالى في شرح الأربعين بعد كلامه على مراتب الدين في هذا الحديث قال فمن تأمل ما أشرنا اليه مما دل عليه هذا الحديث العظيم علم أن جميع العلوم والمعارف يرجع الى هذا الحديث ويدخل تحته وأن جميع العلماء من فرق هذه الأمة لا تخرج علومهم التي يتكلمون فيها عن هذا الحديث وما دل عليه مجملا ومفصلا فإن الفقهاء إنما يتكلمون في العبادات

التي هي من جملة خصال الإسلام ويضيفون الى ذلك الكلام في أحكام الأموال والأبضاع والدماء وكل ذلك من علم الإسلام كما سبق التنبيه عليه ويبقى كثير من علم الإسلام من الآداب والأخلاق وغير ذلك لا يتكلم عليه إلا القليل منهم ولا يتكلمون على معنى الشهادتين وهما أصل الإسلام كله والذين يتكلمون على أصول الديانات يتكلمون على الشهادتين وعلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره والذين يتكلمون على علم المعارف ومقامات العباد يتكلمون على مقام الإحسان وعلى الأعمال الباطنة التي تدخل في الإيمان أيضا كالخشية والمحبة والتوكل والرضا والصبر ونحو ذلك فانحصرت العلوم الشرعية التي يتكلم عليها فرق المسلمين في هذا الحديث ورجعت كلها اليه ففي هذا الحديث وحده كفاية ولله الحمد والمنة انتهى كلامه رحمه الله تعالى

فصل ست مسائل تتعلق بمباحث الدين

في مسائل تتعلق بما تقدم من مباحث الدين
الأولى كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية
والثانية تفاضيل أهله فيه
والثالثة أن فاسق أهل الملة الإسلامية لا يكفر بذنب دون الشرك ولوازمه إلا إذا استحله
والرابعة أنه لا يخلد في النار
والخامسة أنه في العقاب وعدمه تحت المشيئة

والسادسة أن التوبة في حق كل فرد مقبولة ما لم يغرغر سواء من كفر أو دونه من أي ذنب كان 1
الإيمان يزيد وينقص
... إيمانا يزيد بالطاعات ... ونقصه يكون بالزلات ...
هذه هي المسألة الأولى من مسائل الفصل وهي أن الإيمان يزيد وينقص وعلى ذلك ترجم البخاري رحمه الله تعالى في كتابه فقال في جامعه

كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم - بني الإسلام على خمس وهو قول وفعل ويزيد وينقص قال الله تعالى ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم الفتح 4 وزدناهم هدى الكهف 13 ويزيد الله الذين اهتدوا هدى مريم 76 وقال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم محمد 17 ويزداد الذين آمنوا إيمانا المدثر 31 وقوله تعالى وما زادهم إلا إيمانا وتسليما الأحزاب 22 وقال الترمذي رحمه الله تعالى باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان وساق فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وحديث
يا معشر النساء تصدقن الخ وهو في الصحيحين والشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم
ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب وذوي الرأي منكن
وذكر حديث أبي هريرة وهو في الصحيحين أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الإيمان بضع وسبعون بابا فأدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا اله الا الله هذا لفظ الترمذي وقال حسن صحيح ولفظه بضع وستون ولمسلم رواية بضع وسبعون لكن قالا شعبة بدل بابا
وقال النسائي باب زيادة الإيمان وذكر فيه حديث الشفاعة ودلالته منطوقا

على تفاصيل أهل فيه وأما الزيادة والنقص فدلالته عليها مفهوما لا منطوقا ومثله حديث أبي سعيد الخدري رأيت الناس وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي الحديث وفيه وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله قال الدين ثم ذكر حديث عمر في نزول قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم المائدة 3 ودلالتها على ذلك منطوقا وعلى ذلك ترجم

البخاري رحمه الله تعالى وقال حدثنا الحسن بن الصباح سمع جعفر ابن عون حدثنا أبو العميس قال أخبرنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخدنا ذلك اليوم عيدا قال أي آيه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا المائدة 3 قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة وعلى ذلك ترجم أبو داود وغيره من أئمة السنة وساقوا في ذلك أحاديث تتضمنه منطوقا ومفهوما قال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى حدثنا يحيى بن يحيى التيمي وقطن بن نسير واللفظ ليحيى أخبرنا جعفر ابن سليمان عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة الأسيدي قال وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال كيف أنت يا حنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج

والأولاد الصفار فنسينا كثيرا قال أبو بكر رضي الله عنه فوالله إنا لنلقي مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي يده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات حدثني إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد سمعت أبي يحدث حدثنا سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكر النار قال ثم جئت الى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة قال فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له قال وأنا قد فعلت مثل ما تذكر فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله نافق حنظلة فقال مه فحدثته بالحديث فقال أبو بكر وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال يا حنظلة ساعة ساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق ومن طريق ثالث فذكرنا الجنة والنار الحديث
وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم وأن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب اولى كما

سيأتي إن شاء الله تبارك وتعالى بيانه قريبا
تفاضيل أهل الإيمان - 2
... وأهله فيه على تفاضيل ... هل أنت كالأملاك أو كالرسل ...
هذه هي المسألة الثانية وهي تفاضيل أهل الإيمان فيه كما ذكر الله تبارك

وتعالى أقسامهم التي قسمهم عليها بمقتضى حكمته فقال تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله فاطر 32 الآيات
فقسم تعالى الناجين منهم الى مقتصدين وهم الأبرار أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه والى سابق بالخيرات وهم المقربون الذين تقربوا اليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفا مما به بأس وما زالوا يتقربون الى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به الى آخر معنى الحديث السابق فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يبطشون وبه يمشون وبه ينطقون وبه يعقلون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وأما الظالم لنفسه ففي المراد به عن السلف الصالح قولان
أحدهما أن المراد به الكافر فيكون كقول الله عز وجل في تقسيمهم في سورة الواقعة عند البعث وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون الواقعة 7 11 الى آخر الآيات
وقسمهم عند الاحتضار كذلك فقال عز وجل فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصليه جحيم الواقعة 88 94 فإن تفاضيل أهل الإيمان في تقسيم هذه السورة إنما هو على درجتين سابقين مقربين وابرار هم اصحاب اليمين واما اصحاب الشمال الذين هم المكذبون الضالون فليسوا من اهل الإسلام باتفاق وإنما الخلاف في الظالم نفسه في آية فاطر
والقول الثاني أن المراد به عصاة الموحدين فإنهم ظالمون لأنفسهم ولكن ظلم دون ظلم لا يخرج من الدين ولا يخلد في النار فعلى هذا يكون قسم

ثالث في تفاضيل اهل الايمان ورجح هذا القول ابن القيم رحمه الله تعالى فإذا

كان هذا التفاوت بين اتباع الرسل فكيف تفاوت ما بينهم وبين رسلهم وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن الرسل متفاضلون فقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات البقرة 253 وقد تقدم تقرير ذلك في موضعه وكما أخبر الله تبارك وتعالى عن تفاوتهم في الإيمان في دار التكليف كذلك جعل الجنة التي هي دار الثواب متفاوتة الدرجات مع كون كل منهم فيها فقال في سورة الرحمن ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان الرحمن 46 59 الى آخر السورة وكذا في سورة الواقعة أخبر بصفة الجنة التي يدخلها السابقون اعظم واعلى من صفات الجنة التي يدخلها اصحاب اليمين وكذلك في سورة المطففين قال تبارك وتعالى إن الأبرار لفي نعيم على الأرائكينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون المطففين 22 28 وغير ذلك من الآيات
وقال النبي صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن

وأهل الجنة متفاوتون في الدرجات حتى إنهم يتراءون اهل عليين يرون غرفهم من فوقهم كما يرى الكوكب في الأفق الشرقي أو الغربي ومتفاوتون في الأزواج ومتفاونون في الفواكه من المطعوم والمشروب ومتفاوتون في الفرش والملبوسات ومتفاوتون في الملك ومتفاوتون في الحسن والجمال والنور ومتفاوتون في قربهم من الله عز وجل ومتفاوتون في تكثير زيارتهم إياه ومتفاوتون في مقاعدهم يوم المزيد ومتفاوتون تفاوتا لا يعلمه إلا الله عز وجل وقد قدمنا أحاديث الشفاعة وفيها أن عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر ذنوبهم متفاوتون تفاوتا بعيدا متفاوتون في مقدار ما تأخذ منهم فمنهم من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه الى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى حقويه ومنهم من تأخده كله إلا مواضع السجود وكذلك يتفاوتون في مقدار لبثهم فيها وسرعة خروجهم منها لأنهم متفاوتون في الإيمان والتوحيد الذي بسببه يخرجون منها ولولاه لكانوا مع الكافرين خالدين مخلدين أبدا فيقال للشفعاء أخرجوا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان ثم من كان في قلبه وزن برة

من إيمان ثم من كان في قلبه ذرة من إيمان ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال ذرة من إيمان فأين هذا ممن الإيمان في قلبه مثل الجبل العظيم وأين من نوره على الصراط كالشمس ممن نوره على إبهام قدمه ينونص تارة ويطفأ أخرى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون القلم 36
وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض علي عمر وعليه قميص يجره قالوا فما أولته يا رسول الله قال الدين وقال ابن أبي ملكية أدركت ثلاثين

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل ذكره البخاري تعليقا مجزوما به وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ملئ عمار إيمانا الى مشاشه وقال صلى الله عليه وسلم
من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح
وقرأ الفضيل بن عياض رحمه الله أول الأنفال حتى بلغ أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم الأنفال 4 قال حين فرغ إن هذا الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل وأن المؤمن إذا كان مؤمنا حقا فهو من أهل الجنة فمن لم يشهد أن المؤمن حقا من أهل الجنة فهو شاك في كتاب الله مكذب به أو جاهل لا يعلم فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن حقا مستكمل الإيمان ولا يستكمل الإيمان إلا بالعمل ولا يستكمل عبد الإيمان ولا يكون مؤمنا حقا حتى يؤثر دينه على شهوته ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه يا سفيه ما أجهلك لا ترضى أن تقول أنا مؤمن

حتى تقول أنا مؤمن حقا مستكمل الإيمان والله لا تكون مؤمنا حقا مستكمل الإيمان حتى تؤدي ما افترض الله عليك وتجتنب ما حرم الله عليك وترضى بما قسم الله لك ثم تخاف مع هذا أن لا يقبل الله منك
ووصف فضيل الإيمان بأنه قول وعمل وقرأ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين

له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة البينة 5 فقد سمى الله تعالى دين القيمة بالقول والعمل فالقول الإقرار بالتوحيد والشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم والعمل أداء الفرائض واجتناب المحارم وقرأ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا مريم 55 وقال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به أبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا الشورى 13 فالدين التصديق بالعمل كما وصفه الله تعالى وكما أمر أنبياءه ورسله بإقامته والتفرق فيه ترك العمل والتفريق بين القول والعمل قال الله تبارك وتعالى فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاةفإخوانكم في الدين التوبة 11 فالتوبة من الشرك جعلها الله تعالى قولا وعملا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة

وقال أصحاب الرأي ليس الصلاة ولا الزكاة ولا شيء من الفرائض من الإيمان افتراء على الله وخلافا لكتابه وسنة نبيه ولو كان القول كما يقولون لم يقاتل أبو بكر أهل الردة

وقال فضيل يقول أهل البدع الإيمان الإقرار بلا عمل والايمان واحد وأنما يتفاضل الناس بالأعمال ولا يتفاضلون بالإيمان قال فمن قال ذلك فقد خالف الأثر ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان وتفسير من يقول الإيمان لا يتفاضل يقول إن فرائض

الله ليست من الإيمان فميز أهل البدع العمل من الإيمان وقالوا إن فرائض الله ليست منالإيمان ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية أخاف أن يكون جاحدا للفرائض رادا على الله أمره

ويقول أهل السنة إن الله تعالى قرر العمل بالإيمان وإن فرائض الله من الإيمان قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات العنكبوت 7 فهذا موصول العمل بالإيمان

ويقول أهل الارجاء لا ولكنه مقطوع غير موصول وقال أهل السنة قال الله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن النساء 124 فهذا موصول وأهل الأرجاء يقولون بل هو مقطوع وقال أهل السنة قال الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن الإسراء 19 فهذا موصول وكل شيء في القرآن من أشباه هذا فأهل السنة يقولون هو موصول مجتمع وأهل الأرجاء يقولون بل هو مقطوع متفرق ولو كان الأمر كما يقولون كان من عصى وارتكب المعاصي والمحارم لم يكن عليه سبيل فكان إقراره يكفيه من العمل

فما أسوأ هذا من قول وأقبحه فإنا لله وإنا اليه راجعون
وقال فضيل أصل الإيمان عندنا وفرعه بعد الشهادة لله بالتوحيد والشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالبلاغ وبعد أداء الفرائض صدق الحديث وحفظ الأمانة وترك الخيانة والوفاء بالعهد وصلة الرحم والنصيحة لجميع المسلمين والرحمة للناس عامة
قيل له يعني فضيلا هذا من رأيك تقوله أو سمعته قال بل سمعناه وتعلمناه ولو لم آخذه من أهل الفقه والفضل لم أتكلم به وقال فضيل يقول أهل الأرجاء الإيمان قول بلا عمل ويقول الجهمية الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل ويقول أهل السنة الإيمان المعرفة والقول والعمل فمن قال الإيمان قول وعمل فقد أخذ بالوثيقة ومن قال الإيمان قول بلا عمل فقد خاطر لأنه لا

يدري أيقبل إقراره أو يرد عليه بذنوبه وقال يعني فضيلا قد بينت لك إلا أن تكون أعمى
وقال فضيل لو قال لي رجل مؤمن أنت ما كلمته ما عشت وقال إذا قلت آمنت بالله فهو يجزيك من أن تقول أنا مؤمن وإذا قلت أنا مؤمن لا يجزيك من أن تقول امنت بالله لأن آمنت بالله أمر قال الله تعالى قولوا آمنا بالله البقرة 136 الآية وقولم أنا مؤمن تكلف لا يضرك أن لا تقوله ولا بأس إن قلته على وجه الإقرار وأكرهه على وجه التزكية
وقال فضيل سمعت الثوري يقول من صلى الى هذه القبلة فهو عندنا مؤمن والناس عندنا مؤمنون بالأقرار في المواريث والمناكحة والحدود والذبائح والنسك ولهم ذنوب وخطايا الله حسبهم إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم لا ندري ما لهم عند الله عز وجل
وقال فضيل سمعت المغيرة الضبي يقول من شك في دينه فهو كافر وأنا مؤمن إن شاء الله
قال فضيل الاستثناء ليس بشك وقال فضيل المرجئة كلما سمعوا حديثا فيه تخويف قالوا هذا تهديد وإن المؤمن يخاف تهديد الله وتحذيره وتخويفه ووعيده ويرجو وعده وإن المنافق لا يخاف تهديد الله ولا تحذيره ولا نخويفه ولا وعيده ولا يرجو وعده
وقال فضيل الأعمال تحبط الأعمال والأعمال تحول دون الأعمال
قال عبد الله قال أبي أخبرت عن فضيل عن ليث عن مجاهد فيقوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا البقرة 269 قال الفقه والعلم اه من كتاب السنة وفيه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال القلوب أربعة قلب أجرد كأنما

فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أغلف فذلك قلب الكافر وقلب مصفح فذلك قلب المنافق وقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل شجرة يسقيها ماء طيب ومثل النفاق فيه كمثل قرحة يمدها قيح ودم فأيهما غلب عليه غلبه اه وهذا الموقوف قد روى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد جيد حسن فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه

والآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين في هذا الباب أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر والمقصود بيان أن الناس متفاوتون في الدين بتفاوت الإيمان في قلوبهم متفاضلون فيه بحسب ذلك فأفضلهم وأعلاهم أولو العزم من الرسل وأدناهم المخلطون من أهل التوحيد وبين ذلك مراتب ودرجات لا يحيط بها إلا الله عز وجل الذي خلقهم ورزقهم وكما يتفاوتون في مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون في أعمال الإيمان الظاهرة بل والله يتفاضلون في عمل واحد يعمله كلهم في آن واحد وفي مكان واحد فإن الجماعة في الصلاة صافون كلهم في رأي العين مستوون في القيام والركوع والسجود والخفض والرفع والتكبير والتحميد والتسبيح والتهليل والتلاوة وسائر الأذكار والحركات والسكنات في مسجد واحد ووقت واحد وخلف إمام واحد وبينهم من التفاوت

والتفاضل ما لا يحصى فهذا قرة عينه في الصلاة يود إطالتها ما دام عمره وآخر يرى نفسه في أضيق سجن يود انقضاءها في أسرع من طرفه عين أو يود الخروج منها بل يتندم على الدخول فيها وهذا يعبد الله على وجه الحضور والمراقبة كأنه يشاهده وآخر قلبه في الفلوات قد تشعبت به الضيعات وتفرقت به الطرقات حتى لا يدري ما يقول ولا ما يفعل ولا كم صلى وهذا ترفع صلاته تتوهج بالنور حتى تخترق السموات الى عرش الرحمن عز وجل وهذا تخرج مظلمة لظلمة قلبه فتغلق أبواب السماء دونها فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها وهذا يكتب له أضعافها وأضعاف مضاعفة وهذا يخرج منها وما كتب له إلا نصفها إلا ربعها إلا ثمنها إلا عشرها وهذا يحضرها صورة ولم

يكتب له منها شيء وهذا منافق يأتيها رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر وهذا والناظر إليهم يراهم مستوين في فعلها ولو كشف له الحجاب لرأى من الفرقان ما لا يقدر قدرة إلا الله الرقيب على كل نفس بما كسبت الذي أحاط بكل شيء علما لا تخفى عليه خافية وكذلك الجهاد ترى الأمة من الناس يخرجون فيه مع إمام واحد ويقاتلون عدوا واحدا على دين واحد متساوين ظاهرا في القوى والعدد فهذا يقاتل حمية وعصبية وهذا يقاتل رياء وسمعة لتعلم شجاعته ويرى مكانه وهذا يقاتل للمغنم ليس له هم غيره وهذا يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وذا هو المجاهد في سبيل الله لا لغيره وهذا هو الذي يكتب له بكل حركة أو سكون أو نصب أو مخمصة عمل صالح وهكذا الزكاة والصوم والحج والأمر بالعروف والنهي عن المنكر وجميع أعمال الإيمان الناس فيها على هذا التفاوت والتفاضل بحسب ما وقر في قلوبهم من العلم واليقين وعلى ذلك يموتون وعليه يبعثون وعلى قدره يقفون في عرق الموقف وعلى ذلك الوزن والصحف وعلى ذلك تقسم الأنوار على الصراط وبحسب ذلك يمرون عليه ومن يبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وبذلك يتسابقون في دخول الجنة وعلى حسبه رفع درجاتهم وبقدره تكون مقاعدهم من ربهم تبارك وتعالى في يوم المزيد وبمقدار ذلك ممالكهم فيها ونعيمهم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 1017]

... فاسق أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان - 3
والفاسق الملي ذو العصيان ... لم ينف عنه مطلق الإيمان ... لكن بقدر ... الفسق والمعاصي ... إيمانه ما زال في انتقاص
هذه هي المسألة الثالثة وهي أن فاسق أهل القبلة لا ينفي عنه مطلق الإيمان بفسوقه ولا يوصف بالإيمان التام ولكن هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطي الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم والمواد بالفسق هنا هو الأصغر وهو عمل الذنوب الكبائر التي سماها الله ورسوله فسقا وكفرا وظلما مع إجراء أحكام المؤمنين على عاملها فإن الله تعالى سمى الكاذب فاسقا فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الحجرات 6 ومع هذا لم يخرج ذلك الرجل الذي نزلت فيه الآية من الدين بالكلية ولم ينف عنه الإيمان مطلقا ولم يمنع من جريان أحكام المؤمنين عليه وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقال صلى اله عليه وسلم
لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الحديث وغيره
وقد استب كثير من الصحابة على عهده ومن حضوره فوعظهم وأصلح بينهم ولم يكفرهم بل بقوا أنصاره ووزراءه في الدين وقال الله سبحانه وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الآخرى فقاتلوا

التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله الحجرات 9 فسمى الله تعالى كلا من الطائفتين

المقتتلتين مؤمنة وأمر بالاصلاح بينهما ولو بقتال الباغية ثم قال فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين الحجرات 9 ثم لم ينف عنهم الأخوة أخوة الإيمان لا فيما بين المقتتلين ولا فيما بينهما وبين بقية المؤمنين بل أثبتت أخوة الإيمان لهم مطلقا فقال عز وجل إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون الحجرات 10
وكذلك في آية القصاص أثبت الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين وأثبت لهم أخوة الإيمان فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه بإحسان البقرة 178 وكذلك الذين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض سماهم أيضا مسلمين بعد أن رجعوا كذلك فقال في صفة الخوارج
وتمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق
ومعلوم أن أصحاب علي بن أبي طالب وأهل الشام هما الفرقتان اللتان مرقت الخوارج من بينهما وقد اقتتلا قتالا عظيما فسمى الجميع مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم في سبطه الحسن بن علي
إن ابني هذا سيد وسيصلح الله تعالى به بين فرقتين عظيمتين من المسلمين فأصلح الله تعالى به بين هاتين الفرقتين بعد موت أبيه رضي الله عنهما في عام الجماعة ولله الحمد والمنة ولا منافاة بين تسمية العمل فسقا أو عامله فاسقا وبين تسميته مسلما وجريان أحكام المسلمين عليه لأنه ليس كل فسق يكون كفرا ولا كل ما سمى كفرا وظلما يكون مخرجا من الملة حتى ينظر الى لوازمه وملزوماته وذلك لأن كلا من الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت في النصوص على قسمين

أكبر يخرج من المله لمنافاته أصل الدين بالكلية
أصغر ينقص الإيمان وينافي الملة ولا يخرج صاحبه منه
فكفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسوق دون فسوق ونفاق دون نفاق
قال تعالى في بيان الكفر إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين البقرة 34

وقال إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا النساء 167
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الكفر الأصغر
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
وقال الله تعالى في الظلم الأكبر إن الشرك لظلم عظيم لقمان 13 وقال في الظلم الأصغرة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا الطلاق 1 وقال تعالى إن الذن يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا النساء 10
وقال في الفسوق الأكبر إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه الكهف 50 وقال تعالى والكافرون هم الفاسقون
وقال تعالى في النفاق الأكبر ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين البقرة 8 وقال إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار النساء 145 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في النفاق الأصغر
أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب

وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر
فهذه الخصال كلها نفاق عملي لا يخرج من الدين إلا إذا صحبه النفاق الاعتقادي المتقدم
وما تمسك به الخوارج والمعتزلة وأضرابهم من التشبث بنصوص الكفر والفسوق الأصغر واستدلالهم به على الأكبر فذلك مما جنته أفهامهم الفاسدة وأذهانهم البعيدة وقلوبهم الغلف فضربوا نصوص الوحي بعضها ببعض واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله
فقالت الخوارج المصر على كبيرة من زنا أو شرب خمر أو ربا كافر مرتد خارج من الدين بالكلية لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولو أقر لله تعالى بالتوحيد وللرسول صلى الله عليه وسلم بالبلاغ وصلى وصام وزكى وحج وجاهد وهو مخلد في النار أبدا مع إبليس وجنوده ومع فرعون وهامان وقارون
وقالت المعتزلة العصاة ليسوا مؤمنين ولا كافرين ولكن نسميهم فاسقين فجعلوا الفسق منزلة بين المنزلتين ولكنهم لم يحكموا به بمنزلة في الآخرة بين المنزلتين بل قضوا بتخليده في النار أبدا كاالذين قبلهم فوافقوا الخوارج مآلا وخالفوهم مقالا وكان الكل مخطئين ضلالا
وقابل ذلك المرجئة فقالوا لا تضر المعاصي مع الإيمان لابنقص لا منافاة ولا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق

الموحد وبين إيمان أبي بكر وعمر حتى ولا تفاضل بينهم وبين الملائكة لا ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين إذا الكل مستوفى النطق بالشهادتين كما قدمنا اعتقادهم في بحث الإيمان نسأل الله تعالى العافية

العاصي لا يخلد في النار وأمره الى الله - 4
ولا نقول إنه في النار ... مخلد بل أمره للباري ... تحت مشيئة الاله النافذه ... إن شا عفا عنه وإن شا آخذه ... بقدر ذنبه الى الجنان ... يخرج إن مات ... على الإيمان
ولا نقول إنه أي الفاسق بالمعاصي التي لا توجب كفرا في النار مخلد هذه هي المسألة الرابعة من مسائل الفصل بل نقول أمره مردود حكمه للباري في الجزاء والعفو تحت مشيئة الاله النافذة في خلقه إن شاء الله عز وجل عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله وإن شاء أخذه أي جازاه وعاقبه بقدر ذنبه الذي مات مصرا عليه كما في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه با يعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عليه فهو الى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك والى الجنان يخرج من النار إن كان مات على الإيمان كما تقدم في أحاديث الشفاعة وإنه لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد بل يخرج منها برحمة أرحم الرحمين ثم بشفاعة الشافعين
... والعرض تيسير الحساب في النبا ... ومن يناقش الحساب عذبا ...
في هذا البيت إشارة الى تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله الله عز وجل فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الانشقاق 8 الآيات كما في صحيح البخاري وغيره من طرق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس أحد يحاسب إلا هلك قالت قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عز وجل فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الانشقاق 8 قال ذلك العرض يعرضون

ومن نوقش الحساب هلك وفي رواية عذب وقد قدمنا من نصوص الحشر وأحوال الموقف والميزان ونشر الصحف والعرض والحساب والصراط والشفاعات وغيرها ما يعلم به تفاوت مراتب الناس وتباين أحوالهم في الآخرة بحسب تفاوتهم في الدار الدنيا في طاعة ربهم وضدها من سابق ومقتصد وظالم لنفسه
إذا عرفت هذا فاعلم أن الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم لإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات
الطبقة الأولى قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة ولا تمسهم النار أبدا
الطبقة الثانية قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وتكافأت فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا ثم يؤذن لهم في دخول الجنة كما قال تبارك وتعالى بعد أن دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنه الله على الظالمين الذين يصدقون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف

رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون الأعراف 44 49
الطبقة الثالثة قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش ومعهم أصل التوحيد فرجحت سيئاتهم بحسناتهم فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم فمنهم من تأخذه الى كعبيه ومنهم من تأخذه الى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى حقويه ومنهم فوق ذلك حتى إن منهم من لم يحرم منه على النار إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود وهؤلاء هم الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه فيحد لهم حدا فيخرجونهم ثم يحد لهم حدا فيخرجونهم ثم هكذا فيخرجون من كان في قلبه وزن دينار من خير ثم من كان في قلبه نصف دينار من خير ثم بره ثم خردله ثم ذرة ثم أدنى من ذلك الى أن يقول الشفعاء ربنا لم نذر فيها خيرا ويخرج الله تعالى من النار أقواما لا يعلم عدتهم إلا هو بدون

شفاعة الشافعين ولم يخلد في النار أحد من الموحدين ولو عمل أي عمل ولكن كل من كان منهم أعظم إيمانا وأخف ذنبا كان أخف عذابا في النار واقل مكثا فيها واسرع خروجا منها وكل من كان أضعف إيمانا واعظم ذنبا كان بضد ذلك والعياذ بالله والأحاديث في هذا الباب لا تحصى كثرة وقد قدمنا منها ما فيه كفاية والى هذا المعنى أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
من قال لا اله الا الله نفعته يوما من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه وهذا مقام ضلت فيه الأفهام وزلت فيه الأقدام وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد بعد سرده أحاديث الشفاعة بأسانيدها قال قد روينا أخبارا عن النبي صلى الله عليه وسلم يحسب كثير من اهل الجهل والعناد انها خلاف هذه الأخبار التي ذكرناها مع كثرتها وعدالة ناقليها في الشفاعة وفي إخراج بعض اهل التوحيد من النار بعد ما دخلوها بذنوبهم وخطاياهم وليست بخلاف تلك الأخبار عندنا بحمد الله ونعمته واهل الجهل الذين ذكرتهم في هذا الفصل صنفان صنف منهم من الخوارج والمعتزلة انكرت اخراج أحد من النار ممن دخل النار وأنكرت هذه الأخبار التي ذكرناها في الشفاعة الصنف الثاني الغالية من المرجئة التي تزعم ان النار حرمت على من قال لا اله إلا الله تتأول هذا الأخبار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه اللفظة على خلاف تأويلها فأول ما نبدأ بذكر الأخبار بأسانيدها وألفاظ متونها ثم نبين معانيها بعون الله ومشيئته ونشرح ونوضح انها ليست بمخالفة للأخبار التي ذكرناها في الشفاعة وفي إخراج من قضى الله إخراجهم من أهل التوحيد من النار ثم ساق منها حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان
وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار لا إله إلا الله

وحديث عتبان بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لن يوافى عبد يوم القيامة وهو يقول لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله إلا حرم على النار وفي رواية فإن الله قد حرم على النار أن تأكل من قال لا إله إلا الله
وحديث عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة
وحديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صادقا من قلبه دخل الجنة
وحديث عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لقى الله يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله دخل الجنة وفي رواية حرمه الله على النار
وحديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى اله عليه وسلم بعثه فقال اذهب فناد في الناس أن من شهد أن لا إله إلا الله موقنا أو مخلصا دخل الجنة

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله ما تركت من حاجة ولا داجة إلا اتيت عليها قال أو تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله قال نعم قال فإن هذا يأتي على ذلك كله
وحديث عمر رضي الله عنه إن رسول الله أمره أن يؤذن الناس أن من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصا فله الجنة قال عمر يا رسول الله إذا يتكلوا قال فدعهم
وحديث عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وجبت له الجنة
وحديث أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل من مات من أمتك لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ولم يدخل النار قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق
وحديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ولمن خاف مقام ربه جنتان الرحمن 46 قلت وإن زنى وإن سرق يا رسول الله قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن خاف مقام ربه جنتان الرحمن 46 قلت وإن زنى وإن سرق يا رسول الله قال ولمن خاف مقام ربه جنتان الرحمن 46 قلت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق يا رسول الله قال ولمن خاف مقام ربه جنتان الرحمن 46 قلت يا رسول الله وإن زنى وإن سرق قال ولمن خاف مقام ربه جنتان الرحمن 46

وإن زنى وإن سرق ورغم أنف أبي الدرداء فلا أزال أقرؤها كذلك حتى القاه
حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلمة وأنا أقول أخرى قال من مات وهو يجعل لله ندا دخل النار قال وأقول من
مات وهو لا يجعل لله ندا دخل الجنة
قال أبو بكر قد كنت أمليت أكثر هذا الباب من كتاب الإيمان وبينت في ذلك
الموضع معنى هذه الأخبار وأن معناها ليس كما يتوهمه المرجئة وبيقين يعلم
كل عالم من أهل الإسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بهذه الأخبار أن
من قال لا إله إلا الله أو زاد معها شهادة أن محمدا رسول الله ولم يؤمن بأحد
من الأنبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم ولا آمن بشيء من كتاب الله عز
وجل ولا بجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب أنه من أهل الجنة لا يعذب بالنار ولئن
جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم
وخلاف كتاب الله عز وجل وخلاف سنن النبي صلى الله عليه وسلم لجاز
للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا تؤولت على
ظاهرها استحق من يعلم أن الله ربه وأن محمدا نبيه وإن لم ينطق بذلك لسانه
ولا يزال يسمع أهل الجهل والعناد يحتجون بأخبار مختصرة غير مقتصاة وبأخبار
مجملة غير مفصلة لا يفهمون أصول العلم فيستدلون بالمقتصي من الأخبار
على مختصرها وبالمفسر منها على مجملها قد ثبتت الأخبار عن النبي صلى
الله عليه وسلم بلفظه لو حملت على ظاهرها كما حملت على المرجئة الأخبار

التي ذكرناها في شهادة أن لا إله إلا الله على ظاهرها لكان العالم بقلبه أن لا
إله إلا الله مستحقا للجنة وإن لم يقر بذلك بلسانه ولا أقر بشيء مما أمر الله
تعالى بالإقرار به ولا آمن بقلبه بشيء مما أمر الله بالإيمان به ولا عمل
بجوارحه شيئا أمر الله به ولا انزجر عن شيء حرمه الله من سفك دماء
المسلمين وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم واستحلال حرمهم فاسمع الخبر الذي
ذكرت انه غير جائز أن يحمل على ظاهره كما حملت المرجئة الأخبار التي
ذكرناها على ظاهرها
ثم ذكر حديث عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وحديث عمران بن حصين
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من علم أن الله ربه وأني نبيه صادقا من قلبه وأومأ بيده الى فلذة صدره
حرم الله لحمه على النار وحديث معاذ رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
من مات وهو يوقن بقلبه أن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في
القبور قال ابن سيرين إما دخل الجنة وإما قال نجا من النار كيف جاز للجهمي
الاحتجاج بهذه الأخبار أن المرء يستحق الجنة بتصديق القلب أن لا إله إلا الله

وبأن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من في القبور ويترك الاستدلال بما سنبينه بعد إن شاء الله من معنى هذه الأخبار لم يؤمن أن يحتج جاهل لم يعرف دين الله ولا أحكام الإسلام بخبر عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة

فيدعي أن جميع الإيمان هو العلم بأن الصلاة عليه حق واجب وإن لم يقر بلسانه مما أمر الله بالإقرار به ولا صدق بقلبه بشيء مما أمر الله بالتصديق به ولا أطاع في شيء أمر الله به ولا انزجر عن شيء حرمه الله إذ النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة كما أخبر أن من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة ثم ذكر حديث عثمان بسنده
قال أبو بكر فإن جاز الاحتجاج بمثل هذا الخبر المختصر في الإيمان واستحقاق المرء به الجنة وترك الاستدلال بالأخبار المفسرة المقتصاة لم يؤمن أن يحتج جاهل معاند فيقول بل الإيمان إقام صلاة الفجر وصلاة العصر وأن مصليها يستوجب الجنة ويعاذ من النار وإن لم يأت بالتصديق ولا بالإقرار بما أمر أن يصدق به ويقربه ولا يعمل بشيء من الطاعات التي فرض الله على عباده ولا الزجر عن شيء من المعاصي التي حرمها الله ويحتج بخبر عمار بن رؤيبة فذكره بإسناده الى عمار بن رويبة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها حرمه الله على النار فقال رجل من أهل البصرة وأنا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أبو بكر قد أمليت طرق هذا الخبر في كتاب المختصر من كتاب الصلاة مع أخبار النبي صلى الله عليه وسلم من صلى الصبح فهو في ذمة الله وكل عالم يعلم دين الله وأحكامه يعلم أن هاتين الصلاتين لا توجبان الجنة مع ارتكاب جميع المعاصي إنما رويت في فضائل هذه الأعمال وإنما رويت أخبار النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فضيلة لهذا القول لا أن هذا القول كل الإيمان
قلت للا إله إلا الله لوازم ومقتضيات وشروط مقيد دخول الجنة بالتزام

قائلها لجميعها واستكماله إياها كما قدمنا بسطه ولله الحمد
قال رحمه الله تعالى ولئن جاز لجاهل أن يقول إن شهادة أن لا إله إلا الله جميع الإيمان إذ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن قائلها يستوجب الجنة ويعاذ من

النار لم يؤمن أن يدعي جاهل معاند أيضا أن جميع الإيمان القتال في سبيل الله فواق ناقة فيحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم
من قاتل في سبيل الله فواق ناقة دخل الجنة كاحتجاج المرجئة بقول النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ويقول معاند آخر جاهل إن الإيمان بكماله المشي في سبيل الله حتى تغبر قدما الماشي ويحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم
من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار وبقوله صلى الله عليه وسلم
لا يجتمع غبار الله ودخان جهنم في منخري رجل مسلم
ويدعي جاهل آخر أن الإيمان كله عتق رقبة مؤمنة ويحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضوا منه عضوا من النار ويدعي جاهل آخر أن جميع الإيمان البكاء من خشية الله تعالى ويحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى ويدعي جاهل آخر أن جميع

الإيمان صوم يوم في سبيل الله ويحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا ويدعي جاهل آخر أن جميع الإيمان قتل كافر ويحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا ثم ذكره بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه
ثم قال رحمه الله تعالى وهذا الجنس من فضائل الأعمال يطول بتقصيه الكتاب وفي قدر ما ذكرنا غنية وكفاية لما له قصدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أخبر بفضائل هذه الأعمال التي ذكرنا وما هو مثلها لا أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن كل عمل ذكره أعلم أن عامله يستوجب بفعله الجنة أو يعاذ من النار أنه جميع الإيمان وكذاك إنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله من قال لا إله إلا الله دخل الجنة أو حرم على النار فضيلة لهذا القول لا أن جميع الإيمان كما ادعى من لا يفهم العلم ويعاند فلا يتعلم هذه الصناعة من أهلها
ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا هذا لفظ مختصره الخبر المقتضى لهذه اللفظة المختصرة ما حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا شعيب بن الليث قال حدثنا الليث عن محمد بن العجلان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يجتمعان في النار اجتماعا يعني أحدهما مسلم قتل كافرا ثم سدد المسلم وقارب

قال أبو بكر لذاك نقول في فضائل الأعمال التي ذكرنا من عمل من المسلمين بعض تلك الأعمال ثم سدد وقارب ومات على إيمانه دخل الجنة ولم يدخل النار موضع الكفر منها وإن ارتكب بعض المعاصي لذاك لا يجتمع قاتل الكافر إذا مات على إيمانه مع الكافر المقتول في موضع واحد من النار لا إنه

لا يدخل النار ولا موضعا منها وإن ارتكب جميع الكبائر خلا الشرك بالله عز وجل إذا لم يشأ تعالى أن يغفر له ما دون الشرك فقد أخبر الله عز وجل أن للنار سبعة أبواب فقال لإبليس إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين الى قوله تعالى لكل باب منهم جزء مقسوم مقسوم الحجر 42 44 فأعلمنا ربنا عز وجل أنه قسم تابعي إبليس من الغاوين سبعة أجزاء على عدد أبواب النار فجعل لكل باب منهم جزءا معلوما واستثنى عباده المخلصين من هذا القسم فكل مرتكب معصية زجر الله عنها فقد أغواه إبليس والله عز وجل قد يشاء غفران كل معصية يرتكبها المسلم دون الشرك وإن لم يتب منها لذاك أعلمنا في محكم تنزيله قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء النساء 116 وأعلمنا خالقنا عز وجل أن آدم الذي خلقه الله بيده واسكنه جنته وأمر ملائكته بالسجود له عصاه فغوى وأنه عز وجل برأفته ورحمته اجتباه بعد ذلك فتاب عليه وهدى ولم يحرمه الله بارتكاب هذا الحوب بعد ارتكابه إياه فمن لم يغفر الله له حوبته التي ارتكبها وأوقع عليه اسم غاو فهو داخل في الأجزاء جزءا وقسما لأبواب النار السبعة وفي ذكره آدم صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى طه 121 ما يبين ويوضح أن اسم الغاوي قد يقع على مرتكب الخطيئة قد زجر الله عن اتيانها وأن لم تكن تلك الخطيئة كفرا ولا شركا ولا ما يقاربهما ويشبههما ومحال أن يكون المؤمن الموحد لله عز وجل قلبه ولسانه المطيع لخالقه في أكثر ما فرض الله عليه وندبه اليه من أعمال البر غير المفروض عليه والمنتهى عن أكثر المعاصي وإن ارتكب بعض المعاصي والحوبات في قسم من كفر بالله ودعا معه آلهة له أو صاحبة أو ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولم يؤمن بشيء مما أمر الله تعالى بالإيمان به ولا أطاع الله في شيء أمر به من الفرائض والنوافل ولا انزجر عن معصية نهى الله عنها محال أن يجتمع هذان في درجة واحدة من النار والعقل مركب على أن يعلم أن كل من كان أعظم خطيئة وأكثر ذنوبا لم يتجاوز الله عن ذنوبه كان أشد عذابا في النار كما يعلم كل عاقل أن كل من كان أكثر طاعة لله عز وجل وتقربا اليه بفعل الخيرات واجتناب السيئات كان أرفع درجة في الجنان واعظم ثوابا واجزل نعمة فكيف يجوز أن

يتوهم عاقل مسلم أن أهل التوحيد يجتمعون في النار في الدرجة مع من كان يفتري على الله عز وجل فيدعو له شريكا أو شركاء فيدعون له صاحبة وولدا ويكفر به ويشرك ويكفر بكل ما أمر الله بالإيمان به ويكذب جميع الرسل ويترك جميع الفرائض ويرتكب المعاصي فيعبد النيران ويسجد للأصنام والصلبان فمن لم يفهم هذا الباب لم يجد بدا من تكذيب الأخبار الثابتة من التي ذكرتها عن النبي صلى الله عليه وسلم في اخراج أهل التوحيد من النار إذ محال أن يقال أخرجوا من النار من ليس فيها وأكثر استحالة من هذا أن يقال يخرج من النار من ليس فيها وفي ابطال أخبار النبي صلى الله عليه وسلم اضمحلال الدين وابطال الإسلام والله عزوجل لم يجمع بين جميع الكفار في موضع واحد من النار ولا سوى بين عذاب جميعهم قال الله عز وجل إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار النساء 145 وقال أدخلوا آل فرعون أشد العذاب غافر 46
ثم لما انتهى من الكلام على ما احتج به المرجئة على باطلهم وكفر به الخوارج وردوه بباطل آخر شرع رحمه الله في بيان ما تشبث به الخوارج واحتجوا به على باطلهم وما كفر به المرجئة وردوه بباطل آخر فقال رحمه الله تعالى
باب ذكر أخبار رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم ثابتة من جهة النقل جهل معناها فرقتان فرقة المعتزلة والخوارج احتجوا بها وادعوا أن مرتكب الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلد في النار محرم عليه الجنان والفرقة الأخرى المرجئة كفرت بهذه الأخبار وأنكرتها ودفعتها جهلا منها بمعانيها وأنا ذاكرها بأسانيدها وألفاظ متونها ومبين معانيها بتوفيق الله
ثم ذكر بأسانيده حديث أسامة بن زيد وسعدبن أبي وقاص وأبي بكرة وسعد بن مالك رضي الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ادعى الى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام

وحديث عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من انتسب لغير أبيه فلن يرح بريح الجنة وريحها يوجد من مسيرة سبعين عاما
وحديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة قتات وفي رواية نمام
وحديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من اقتطع حق امرء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة
فقال رجل إن كان شيئا يسيرا قال وإن كان قضيبا من أراك
وحديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة نمام ولا عاق ولا مدمن خمر

وحديث جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع
وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثةلا يدخلون الجنة العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء
وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى وحديث أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل نفسا معاهده بغير حقها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها
ثم قال رحمه الله تعالى معنى هذه الأخبار إنما هو على أحد معنيين أحدهما لا يدخل الجنة أي بعض الجنان إذ النبي صلى الله عليه وسلم قد أعلم أنها جنان من جنة واسم الجنة واقع على كل جنة منها فمعنى هذه الأخبار التي ذكرها من فعل كذا لبعض المعاصي حرم الله عليه الجنة أو لم يدخل الجنة معناه لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيما وسرورا وبهجة وأوسع لأنه أراد لا يدخل شيئا من تلك الجنان التي هي في الجنة وعبد الله بن عمرو قد بين خبرة الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر إنه إنما أراد حظيرة القدس من الجنة على ما تأولت على أحد

المعنيين ثم ساق بإسناده عن عبد الله بن عمرو أنه قال لا يدخل حظيرة القدس سكير ولا عاق ولا منان
قال والمعنى الثاني ما قد أعلمت أصحابي ما لا أحصى من مرة أن كل وعيد في الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة أي ألا أن يشاء الله تعالى أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة اذ الله عز وجل قد خبر في محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر دون الشرك من الذنوب في قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء النساء 116 قد أمليت هذه المسألة في كتاب معاني القرآن الكتاب الأول واستدللت أيضا بخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى وساق بإسناده الى قيس بن محمد بن الأشعث أن الأشعث وهب له غلاما فغضب عليه

وقال والله ما وهبت لك شيئا فلما أصبح رده عليه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من حلف على يمين صبرا ليقتطع مال امرئ مسلم لقي الله يوم القيامة وهو مجتمع عليه غضبان إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه
قلت وتقدم حديث عبادة بن الصامت في قصة البيعة وهو دليل على هذا المعنى
قال أبو بكر فاسمعوا الخبر المصرح بصحة ما ذكرت أنها جنان في جنة واسم الجنة واقع على كل جنة منها على انفراد لتستدلوا بذلك على صحة تأويلنا الأخبار التي ذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل كذا وكذا لبعض المعاصي لم

يدخل الجنة إنما أراد بعض التي هي أعلى وأشرف وأفضل وأنبل وأكثر نعيما وأوسع إذ محال أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لا يدخل شيئا من الجنان ويخبر أنه يدخل الجنة فتكون إحدى الكلمتين دافعة الأخرى وأحد الخبرين دافعا الآخر لأن هذا الجنس مما لا يدخله التناسخ ولكنه من الفاظ العام الذي يراد به الخاص ثم ساق بإسناده الى أنس بن مالك رضي الله عنه أن الربيع أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أنبئني عن حارثة أصيب يوم بدر فإن كان في الجنة صبرت واحتسبت وأن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء فقال
يا أم حارثة إنها جنان في جنة وإنه أصاب الفردوس الأعلى
قال أبو بكر قد أمليت أكثر طرق هذا الخبر في كتاب الجهاد وقد أمليت في كتاب ذكر نعيم الجنة ذكر درجات الجنة وبعد ما بين الدرجتين منها أن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم
أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما ترون الكوكب الدري في أفق من آفاق السماء لتفاضل ما بينهما وقول بعض أصحابه تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال
بلى رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وأمليت أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بين كل درجتين من درج الجنة مسيرة مائة عام فمعنى هذه الأخبار التي فيها ذكر بعض الذنوب التي يرتكبه بعض المؤمنين أن مرتكبه لا يدخل الجنة معناها لا يدخل العالي من الجنان التي هي دار المتقين الذين لم يرتكبوا تلك الذنوب والحوبات والخطايا
ثم قال وقد يجوز أن يقول صلى الله عليه وسلم من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لم يدخل الجنة التي يدخلها فيه من لم يرتكب هذه الحوبة لأنه يحبس عن دخول الجنة إما للمحاسبة على الذنب أو لإدخاله النار ليعذب بقدر ذلك الذنب إن

كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكب النار إن لم يعف الله ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب فمعنى هذه الأخبار على هذه المعاني لأنها إذا لم تحمل على هذه المعاني كانت على وجه التهاتر والتكاذب وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا حدثتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه ثم ساقه بإسناده عن علي رضي الله عنه فذكره انتهى كلامه رحمه الله تعالى باختصار بعض مكررة فلا تستطله فإنه كلام متين من إمام متضلع من معاني الكتاب والسنة ذي خبرة وعلم لمواردها ومصادرها
وقوله رحمه الله تعالى وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعن رحمه الله اللتأويل الذي اصطلحه المتكلمون لصرف النصوص عن معانيها الى الاحتمالات البعيدة التي هضموا بها معاني النصوص بما اقتضته عقولهم الى السخيفة وليس ذلك من طريقته ولا من شأنه رحمه الله وإنما عنى ما أشار اليه في غير موضع من كتبه من حمل المجمل على المفسر والمختصر على المقتصي والمطلق على المقيد والعموم على الخصوص وما أشبه ذلك من التأليف بين النصوص ومدلولاتها لئلا تكون متناقضة يرد بعضها معنى بعض لأن ذلك مما ينزه عنه كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وهذه طريقة جميع أئمة المسلمين من علماء التفسير والحديث والفقه في أصول الدين وفروعه رحمهم الله تعالى ورضي عنهم مسألة فإن قيل وما الجمع بين ما تقدم من حديث عبادة بن الصامت فيمن رتكب حدا لم يقم عليه قال فهو الى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه وبين ما صرحت به النصوص التي في الميزان والحساب والجنة من أن من رجحت خطاياه وسيئاته بحسناته تمسه النار ولا بد
قلنا لا إشكال في ذلك ولا منافاة ولله الحمد وقد حصل الجمع الفاصل للنزاع بحديث عائشة رضي الله عنها الذي ذكرنا في شرح البيت الأدنى بأن من

يشأ عز وجل أن يعفو عنه يحاسبه الحساب اليسير الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالعرض وقال في معنى العرض في الأحاديث السابقة في صفته يدنوا أحدكم من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقول أعملت كذا وكذا فيقول نعم ويقول أعملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم

وأما الذين يدخلون النار بذنوبهم فهم ممن يناقش الحساب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب نسأل الله عز وجل أن ييسر حسابنا ويتجاوز عنا ويغفر لنا بمنه وكرمه آمين
عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها ... ولا نكفر بالمعاصي مؤمنا ... إلا مع - 5 ... استحلاله لما جنى
... ولا نكفر بالمعاصي ...
التي قدمنا ذكرها وأنها لا توجب كفرا والمراد بها الكبائر التي ليست بشرك ولا تستلزمه ولا تنافي اعتقاد القلب ولا عمله مؤمنا مقرا بتحريمها معتقدا له مؤمنا بالحدود المترتبة عليها ولكن نقول يفسق بفعلها ويقام عليه الحد بارتكابها وينقص إيمانه بقدر ما تجارا عليه منها والدليل على فسقه ونقصان إيمانه قول الله عز وجل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم النور 4 5
وما في معناها من آيات الحدود والكبائر وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 1040]

حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد الحديث في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه
والدليل على أن النفي في هذا الحديث وغيره ليس لمطلق الإيمان بل لكماله هو ما قدمنا من النصوص التي صرحت بتسميته مؤمنا وأثبتت له أخوة الإيمان وأبقت له أحكام المؤمنين
... إلا مع استحلاله لما جنى ...
هذه هي المسألة الخامسة وهو أن عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرم الله ورسوله لو لم يعمل به لأنه حينئذ يكون مكذبا بالكتاب ومكذبا بالرسول صلى الله عليه وسلم وذلك كفر بالكتاب والسنة والاجماع فمن جحد أمرا مجتمعا عليه معلوما من الدين بالضرورة فلا شك في كفره
التوبة في حق فرد إذا استكملت شروطها مقبوله ما لم يغرغر
... وتقبل التوبة قبل الغرغره كما أتى في الشرعة المطهره ...
هذه هي المسألة السادسة وهي أن التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب كفرا كان أو دونه وقد دعا الله تبارك وتعالى إيها جميع عباده فدعا اليها من قال المسيح هو الله ومن قال هو ثالث ثلاثة ومن قال يد الله مغلولة ومن قال إن الله فقير ونحن أغنياء ومن دعا لله الصحابة والولد فقال لهم جميعا أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم المائدة 74

ودعا اليها من هو أعظم محادة لله من هؤلاء وهو من قال أنا ربكم الأعلى ما

علمت لكم من إله غيري فقال الله تبارك وتعالى لرسوله موسى اذهب الى فرعون إنه طغى فقل هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى النازعات 17 19 وقال له في الآية الأخرى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون الشعراء 11 وفي الآية الأخرى اذهبا الى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى طه 43
ودعا الى التوبة من عمل أكبر الكبائر وهي الشرك وقتل النفس بدون حق والزنا فقال تعالى ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما الفرقان 68 70
ودعا اليها من كتم ما انزل الله من البينات والهدى فقال تعالى إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم البقرة 159 160
ودعا اليها المشركين قاطبة فقال بعد الأمر بقتلهم حيث وجدوا فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم التوبة 5
ودعا اليها المنافقين قاطبة فقال تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين النساء 146 ودعا اليها جميع المسرفين بأي ذنب كان فقال تعالى يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطنوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له الزمر 53 54 الآيات وغيرها ما لا يحصى بل لم يرسل الله تعالى الرسل وينزل الكتب إلا دعوة منه لعباده الى التوبة ليتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم

وفي الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل قال
أذنب عبدي ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي دنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي ربي اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك
وفيه عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها
وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فإن بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق

أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة فقال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه الموت ناء بصدره وفي رواية فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فناء بصدره ثم مات فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فكان الى القرية الصالحة أقرب منها شبرا فجعل من أهلها
وفيه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن أناسا من اهل الشرك كانوا قد قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا هل لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون الفرقان 68 ونزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الزمر 53
وقال محمد بن إسحاق قال نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال وكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدل ولا توبة عرفوا الله ثم رجعوا الى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم

وفي قولنا وقولهم لأنفسهم يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب حميعا إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا

له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون الزمر 53 55 قال عمر رضي الله عنه فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها الى هشام بن العاص رضي الله عنه قال فقال هشام لما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت اللهم أفهمنيها قال فألقى الله عز وجل في قلبي أنها أنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا فرجعت الى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة

شروط التوبة النصوح

والأحاديث في شأن التوبة والحث عليها وفي تكفيرها للذنوب كثيرة جدا لها مصنفات مستقلة وحيث ذكرت من الآيات والأحاديث فإنما المراد بها التوبة النصوح وهي التي اجتمع فيها ثلاث شروط

الأول الإقلاع عن الذنب

الثاني الندم على فعله

الثالث العزم على أن لا يعود فيه

فإن كان في ذلك الذنب حق لآدمي لزم استحلاله منه إن أمكن للحديث الذي قدمنا من كان عنده لأخيه مظلمة فليتحلل منه اليوم فإنه ليس ثم دينار ولا درهم الحديث في الصحيح وهذه الشروط في كيفية التوبة

وأما الشرط في زمانها فهو ما أشرنا اليه في المتن بقولنا قبل الغرغرة وهي حشرجة الروح في الصدر والمراد بذلك الاحتضار عندما يرى الملائكة ويبدأ بها السياق قال الله تبارك وتعالى إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء

بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما النساء 17 18

وعن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة رواه ابن جرير

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره وقال مجاهد كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها وقال ابن عباس رضي الله عنهما من جهالته عمل السوء وعنه رضي الله عنه قال ثم يتوبون من قريب قال بينه وبين أن ينظر الى ملك الموت وقال الضحاك ما كان دون الموت فهو قريب وقال قتادة والسدي ما دام في صحته وهو مروي عن ابن عباس وقال الحسن البصري ثم يتوبون من قريب ما لم يغرغر وقال عكرمة الدنيا كلها قريب وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر

وله عن عبد الرحمن البيلماني قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم فقال الآخر أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة وقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه
وروى ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر
وهذا توقيت زمان التوبة في حق كل فرد من العباد وأما في حق عمر الدنيا فقد تقدم في الآيات والأحاديث أنها تنقطع بطلوع الشمس من مغربها لأنها أول آيات القيامة العظام وحين الإياس من الدنيا كما أن رؤية ملك الموت آية الانتقال من الدنيا وحين الإياس من الحياة وكذلك الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب قال الله تبارك وتعالى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثار في الأرض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون فلما رأوا

بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون غافر 82 85

فصل في معرفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتبليغه الرسالة
وإكمال الله لنا به الدين وأنه خاتم النبين وأفضل الخلق أجمعين وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب يكفر من صدقه واتبعه ... نبينا محمد من هاشم ... الى ... الذبيح دون شك ينتمي
نسبه صلى الله عليه وسلم
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ولد هاشم وهو صلى الله عليه وسلم أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه مغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان
وأمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي
وأم عبد الله فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي

وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار
وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال
وأم عبد مناف حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي
وأم قصي فاطمة بنت سعيد بن سيل أحد الجدرة من جعثمة الأسد من اليمن
وأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة
وأم مرة حبشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر
وأم كعب ماوية بنت كعب بن القين بن الجسر من قضاعة
وأم لؤي سلمى بنت عمرو الخزاعي
وأم غالب ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة
وأم فهر بن مالك جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي

وأم مالك عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان
وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر
وأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر
وأم خزيمة امرأة من قضاعة
وأم مدركة بن الياس خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة
وأم الياس بن مضر جرهمية
وأم مضر سودة بنت عك بن عدنان
وأم ربيعة أخي مضر شقيقة بنت عك بن عدنان وهاتان القبيلتان المضروب بهما المثل ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان ولمضر أخ شقيق وهو إياد بن نزار ولربيعة أخ شقيق أيضا وهو أنمار بن نزار
وهذا هو السبب المتفق على سرده لا خلاف فيه لأحد وكذا لا خلاف في

أن نسب عدنان الى الذبيح إسماعيل الحليم ابن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام وكذا لا خلاف في أن إبراهيم ينتمي الى سام بن نوح وهو أبو العرب قاطبة وكذا لا خلاف في أن نوحا ينتمي الى شيث بن آدم وهو وصى أبيه عليهم السلام وإنما الخلاف في كمية الآباء بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم وبين إبراهيم وسام بن نوح وبين نوح وشيث بن آدم وقد كان كثير من أئمة الدين كمالك بن أنس الإمام وغيره يكرهون تعداد الآباء من فوق عدنان ويقولون هم رجم بالغيب وما يدري من يفعل ذلك والله تعالى يقول وقرونا بين ذلك كثيرا الفرقان 38 وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله كان قوم من السلف منهم عبد الله بن مسعود وعمر بن ميمون الأودي ومحمد بم كعب القرظي إذا تلوا والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله إبراهيم 9 قالوا كذب النسابون وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا بلغ عدنان يقول كذب النسابون قال السهيلي وقد رأى جماعة جواز ذلك منهم ابن اسحاق والبخاري والزبير بن بكار والطبري وغيرهم من العلماء قال أبو عمر بن عبد البر والذي عليه أئمة هذا الشأن في نسب عدنان قالوا عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام والمقصود أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أخرجه الله تعالى من وسط العرب نسبا وأكرمهم حسبا وأعلاهم كعبا وأعظمهم جرثومة وأشرفهم أصلا وأطيبهم فرعا
وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن مهران الرازي ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم جميعا عن الوليد قال ابن مهران حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول سمعت رسول الله صلى اله عليه وسلم يقول
إن الله اصطفى كنانة من ولد أسماعيل

واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
وروى الترمذي عن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله إن قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض فقال النبي صلى الله عليه وسلم
إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وفي رواية فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال من أنا فقالوا أنت رسول الله عليك السلام قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا وخيرهم نفسا هذا حديث حسن وحمى الله تبارك وتعالى أصول نبينا من سفاح الجاهلية فلم يشب نسبه شيء من ذلك لا من جهه آبائه ولا من جهة امهاته ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلام كما رواه جماعة عن جعفر الصادق عن آبائه مرفوعا إني ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح

مولده صلى اله عليه وسلم

وكان مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل كما روى الترمذي وغيره عن عبد المطلب بن

عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل قال وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم أخا بني يعمر بن ليث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله أكبر مني وأنا أقدم منه في الميلاد قال ورأيت خذق الفيل أخضر محيلا قال الترمذي حديث حسن
مولده بمكة المطهرة ... هجرته لطيبة المنوره ... بعد أربعين بدا الوحي به ... ثم دعا الى سبيل ربه ... عشر سنين أيها الناس اعبدوا ... ربا تعالى شأنه ... ووحدوا ... وكان قبل ذاك في غار حرا ... يخلو بذكر ربه عن الورى

مولده

صلى الله عليه وسلم بمكة المطهرة من كل رجس حسا ومعنى هجرته صلى

الله عليه وسلم لطيبة المدينة المنورة وكان ذلك موجودا في الصحف التي بشرت به صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل وغيرهما والآيات في ذلك والدلائل على ذلك لا تحصى ثم كان الأمر كما بشرت فولد بمكة وأوحى إليه فيها وبعث بالدعوة الى الله فيها ثم كانت هجرته الى المدينة كما سيأتي إن شاء الله عز وجل

بدء الوحي

بعد أربعين سنة من عمره صلى الله عليه وسلم بدأ الوحي من الله عزوجل اليه به صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى عليه وسلم ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا أدم ليس بجعد قطط ولا سبط رجل بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين الحديث

وكيفية بدء الوحي ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم العلق 1 3 فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله لا يخزيك الله ابدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على النوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرءا قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا

مؤزرا ثم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي قال ابن شهاب وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة

الوحي فقال في حديثه بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر الى قوله والرجز فاهجر المدثر 1 5 فحمى الوحي وتتابع تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح وتابعه هلال بن رداد عن الزهري وقال يونس ومعمر بوادره حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا أبو عوانه قال حدثنا موسى بن أبي عائشة قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتجعل به القيامة 16 قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدةوكان مما يحرك شفتيه فقال ابن عباس فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما وقال سعيد وأنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله تعالى لا تحرك به لسانك لتجعل به إن علينا جمعه وقرآنه القيامة 16 17 قال جمعه لك بصدرك وتقرأه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه القيامة 18 قال فاستمع له وأنصت ثم إن علينا بيانه القيامة 19 ثم إن علينا أن تقرأه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما قرأه وقال رحمه الله تعالى حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قال

قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا

دعوته الى سبيل ربه

ثم دعا الى سبيل ربه وهو على دين الإسلام الذي أرسل الله تعالى به رسله وأنزل به كتبه وهو دينه في السماء والأرض ولن يقبل الله تعالى من أحد دينا سواه عشر سنين دعوته الى التوحيد وترك عبادة الأوثان فقط قبل أن يفرض

عليه الصلوات الخمس ولا غيرها قائلا أيها الناس اعبدوا ربا تعالى شأنه لا تعبدوا إلا الله ووحدوا تفسير لذلك وهذه دعوة من قبلة من نوح الى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره الأعراف 59 وكانت الدعوة في أول البعثة سرا ثلاث سنين فيما ذكر ابن إسحاق وغيره قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت واصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الحجر 94 وقال البخاري رحمه الله تعالى في تفسير سورة الشعراء قوله عز وجل وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك الشعراء 214 حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين الشعراء 214 صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا
فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت

يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب المسد 1 2
حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله وأنذر عشيرتك الأقربين الشعراء 214
قال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا اغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم سليني ما شئت من مالي لا اغني عنك من الله شيئا ورواهما مسلم ايضا وقال رحمه الله حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتك الأقربين الشعراء 214 دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص
فقال يا بني كعب بن لؤي انقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني عاشم انقذوا أنفسكممن النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها وله عن عائشة رضي الله

عنها قالت لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين الشعراء 214 قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا
فقال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وله عن قبيصة بن المخارق

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 1057]

وزهير بن عمرو قالا لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين الشعراء 214 انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة من جبل فعلا اعلاها حجرا ثم نادى يا بني عبد مناف اني نذير إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه وكان قبل ذلك في غار حراء الخ تقدم معناه في حديث الحارث بن هشام

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 1058]

حديث الإسراء والمعراج
وبعد خمسين من الأعوام ... مضت لعمر سيد الأنام ... أسرى به الله اليه ... في الظلم ... وفرض الخمس عليه وحتم ... وكان الإسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى والمعراج من المسجد الأقصى الى سدرة المنتهى ثم الى حيث شاء الله عز وجل قال الله تبارك وتعالى في ذكر الإسراء بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير الإسراء 1 وقال تبارك وتعالى في ذكر المعراج ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى النجم 13 18
وقال البخاري رحمه الله تعالى باب حديث الإسراء وقوله الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الإسراء 1 حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه باب المعراج حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك

ابن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال
بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى شعرته
فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض فقال الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا ابوك آدم فلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أو قد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت إذا إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي صالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أو قد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلم خلصت فإذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ

الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل أو قد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح

والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال ابكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي الى السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد علي السلام قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الي سدرة المنتهى فإئا نبقها مثل قلال هجر وإذ ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى نبقها مثل قلال هجر وإذ ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا اربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال هي الفطرة أنت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما أمرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم قال إن امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتىاستحييت ولكني ارضي واسلم قال فلما تجاوزت ناداني مناد أمضيت فريضتي وخففت عن

عبادي رواه مسلم مختصرا قلت وقوله في هذه الرواية عن إدريس مرحبا بالأخ الصالح وهذا قد يشكل لأن إدريس من آبائه والمعنى والله اعلم على ما في الحديث نحن معاشر الأنبياء أبناء علات الخ
وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني سليمان عن شريك بن عبد الله أنه قال سمعت ابن مالك يعني أنسا رضي الله عنه يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى أفرغ من صدره

وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو إيمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قال وقد بعث اليه قال نعم قالوا فمرحبا به وأهلا فيستبشر أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا ابوك فسلم عليه فسلم ورد عليه ادم وقال مرحبا وأهلا يا بني نعم الابن انت فإذا هو في السماء الدنيا بنهران يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فإذا هو مسك فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك

ربك ثم عرج الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا ثم عرج به الى السماء الثالثة وقالوا مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم اظن ان يرفع علي احد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله تعالى حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى اليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار اليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به الى الجبار فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس صلوات فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا ف فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب إن أمتي ضعفاء أجسامهم وقلوبهم وأسماعهم وابدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا

محمد قال لبيك وسعديك قال إنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر امثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر امثالها قال موسى قد والله

راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه إرجع الى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت اليه قال فاهبط باسم الله قال واستيقظ وهو في المسجد الحرام
ورواه مسلم بعد حديث ثابت البناني أصله وقال نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه شيئا وأخر وزاد ونقص وهذا السياق روايته لحديث ثابت قال رحمه الله تعالى حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما وسلامه فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فإذا أنا

بيوسف عليه السلام إذ هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قال وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح الباب فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب ودعا لي بخير قال

الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا مريم 57 ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فإذا أنا بهرون عليه السلام فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام وقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فإذا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سورة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا تمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعقها من حسنها فأوحى الله الى ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى عليه السلام فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فإن امتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الي موسى فقلت حط عني خمسا قال إن امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد أنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى عليه

السلام فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه
وقال البخاري رحمه الله تعالى باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي الى السماء الدنيا فلما جئت الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا قال جبريل قال هل معك أحد قال نعم معى محمد رسول الله صبى الله عليه فقال أرسل إليه ؟ قال نعم فلما فتح علونا

السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي الى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال أنس فلما مرجبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال هذا ادريس ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا ابراهيم عليه السلام قال ابن شهاب فأخبرني

ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم
ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم
ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على أمتك قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع الى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت فوضع شطرها فرجعت اليه فقال ارجع الى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى انتهى بي الى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جبال اللؤلؤ وإذا ترابها المسك وافقه عليه مسلم رحمه الله تعالى
وله عن مرة عن عبد الله قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال إذ يغشى السدرة ما يغشى النجم 16 قال فراش من ذهب قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقمحات
وله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياءمن بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لي أنظر اليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به الحديث
وهذا الذي ذكرنا من حديث أنس وجابر و مالك بن صعصعة وأبي ذر وابن

مسعود وأبي هريرة وابن عباس وأبي حبة هي من أصح ما ورد وأقواه وأجوده وأسنده وأشهره وأظهره لأتفاق الشيخين على إخراجهما وعن هؤلاء روايات أخر لم نذكرها استغناء عنها بما في الصحيحين
وفي الباب أحاديث أخر عن جماعة من الصحابة منهم من لم نذكر عمر بن الخطاب وعلي وأبو سعيد وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبو ليلى وعبد الله بن عمرو وحذيفة وبريدة وأبو أيوب وأبو أمامة وسمرة بن جندب وأبو الحمأ وصهيب الرومي وأم هانئ وعائشة وأسماء ابنتا أبي بكر رضي الله عنهم أحمعين ثم الذي دلت عليه الآيات والأحاديث أن الإسراء والمعراج كانا يقظة لا مناما ولا ينافي ذلك ما ذكر في بعض الروايات في قوله صلىالله عليه وسلم بينا أنا نائم فإن ذلك عند أول ما أتياه ولا يدل على أنه استمر نائما ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحيا ولكن في سياق الأحاديث من ركوبه ونزوله وربطه وصلاته وصعوده وهبوطه وغير ذلك ما يدل على أنه أسرى بروحه وجسده يقظة لا مناما وكذا لا ينافي ذلك رواية شريك فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام فإن رواية شريك فيها أوهام كثيرة تخالف رواية الجمهور عن أنس في أكثر من عشرة مواضع سردها في الفتح وسياقه يدل على أنه بالمعنى وصرح في مواضع كثيرة أنه لم يثبتها وتصريح الآية سبحان الذي أسرى بعبده الإسراء 1 شامل للروح والجسد وكذلك قوله تعالى في سورة النجم ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنهتى النجم 13 جعل رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلا لرؤيته اياه في الأبطح وهي رؤية عين حقيقة لا مناما ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة ولا كان لتكذيب قريش بها وقولهم كنا نضرب أكباد الإبل الى بيت المقدس شهرا ذهابا وشهرا إيابا ومحمد يزعم أنه أسرى به اليه واصبح فينا الى آخر تكذيبهم واستهزاءهم به صلى الله عليه وسلم لو كان ذلك رؤيا مناما لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى لأن الإنسان قد يرى في منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعاد لرؤياه وإنما قص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرى حقيقة يقظةلا مناما فكذبوه واستهزؤوا به استبعاد لذالك واستعظاما له مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل وأن الله

يفعل ما يريد ولهذا لما قالوا للصديق وأخبروه الخبر قال إن كان قال ذلك لقد صدق قالوا وتصدقه بذلك قال نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء يأتيه يأتيه بكرة وعشيا أو كما قال

هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج

واختلف السلف الصالح هل رأى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ربه ليلة المعراج فروى ابن خزيمة وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعن عكرمة قال سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم قال فقلت لابن عباس أليس يقول الله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار الأنعام 103 قال لا ام لك ذلك نوره إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء وروى عنه من طرق لا تحصى كثرة قال رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه وعنه رآه بقلبه وفي رواية رآه بفؤاده مرتين رواه مسلم وغيره وله عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم

هل رأيت ربك قال نور أنى أراه وفي رواية قال رأيت نورا

قال ابن خزيمة في قوله نور أنى أراه هذا يحتمل معنيين على سعة لسان العرب أحدهما الإثبات ومعناه إني أراه أو كيف أراه فهو نور أو فإن ما رأى نور ويؤيد هذا رواية رأيت نورا المعنى الثاني النفي قال والعرب قد تقول أنى على معنى النفي كقوله عز وجل قالوا أنى يكون له الملك علينا البقرة 247 الآية يريدون كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ثم روى عن أبي ذر قال رآه بقلبه ولم يره بعينه

وله عن عباد بن منصور قال سألت الحسن فقلت ثم دنا فتدلى النجم 8 من ذا يا أبا سعيد قال ربي وله عن المبارك بن فضالة قال كان الحسن يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه وله عن كعب قال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما فرآه محمد مرتين وكلم موسى مرتين وروى ابن أبي حاتم عن عباد بن منصور قال سألت عكرمة عن قوله ما كذب الفؤاد ما رأى النجم 11 فقال عكرمة تريد أن أخبرك أنه قد رآه قلت نعم قال قد رآه ثم قد رآه وروى ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك

قال لم أره

بعيني ورأيته بفؤادي مرتين ثم تلا ثم دنا فتدلى النجم 8 وقال البغوي وذهب جماعة الى أنه رآه بعينه وهو أنس والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه قال ابن كثير وقول البغوي فيه نظر وروى البخاري ومسلم عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير الأنعام 103 ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب الشورى 51 ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدري نفس ماذا تكسب غدا لقمان 34 ومن حدث كأنه كتم فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك المائدة 67 الآية ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم عن مسروق قال كنت متكئا عند عائشة رضي الله عنها فقالت يا أبا عائش ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين أنظرني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالأفق المبين التكوير 23 ولقد رآه نزلة أخرى النجم 13 فقالت أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء الى الأرض

فقالت أو لم تسمع أن الله يقول لا تدركة الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير الأنعام 103 أو لم تسمع أن الله يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم الشورى 51 قالت ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته المائدة 67 قالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول قل لا يعلم من في السموات ومن في الأرض الغيب إلا الله النمل 65 وزاد في رواية قالت ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما أنزل اليه لكتم هذه الآية وإذا تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه الأحزاب

37 وعن أبي هريرة وابن مسعود في آية النجم مثل قول عائشة

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 1072]

قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في قول عائشة رضي الله عنها فقد أعظم على الله الفرية قال هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها في وقت غضب كانت لفظة أحسن منها يكون فيها درك لبغيتها كان أجمل بها ليس يحسن في اللفظ أن يقول قائل أو قائله قد أعظم ابن عباس الفرية وأبو ذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربهم ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التي يكون غيرها أحسن واجمل منها اكثر ما في هذا أن عائشة رضي الله عنها وأبا ذر وابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك رضي الله عنه قد اختلفوا هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه فقالت عائشة رضي الله عنها لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ربه وقال أبو ذر وابن عباس رضي الله عنهما قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وقد أعلمت في مواضع من كتبنا أن النفي لا يوجب علما والأثبات هو الذي يوجب العلم لم تحك عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خبرها أنه لم ير ربه عز وجل إنما تلت قوله عز وجل لا تدركه الأبصار الأنعام 103 وقوله ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا الشورى 51 ومن تدبر هاتين الآيتين ووفق لإدراك الصواب علم أنه ليس في واحدة من الآيتين ما يستحق من قال إن محمد رأى ربه الرمي بالفرية على الله كيف بأن يقول قد أعظم الفريه على الله ثم قال رحمه

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 1073]

الله تعالى فقد ثبت عن ابن عباس إثباته أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه وبيقين يعلم كل عالم أن هذا ليس من الجنس الذي يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة إما بكتاب أو بقول نبي مصطفى ولا أظن احدا من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه برأي ولا ظن لا ولا أبو ذر ولا أنس بن مالك نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة رضي الله عنها وابن عباس في هذه المسألة ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس نقول عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله عالمة فقيهة كذلك ابن عباس رضي الله عنهما ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا النبي صلى الله عليه وسلم له أن يرزق الحكمة والعلم وهذا المعنى من الدعاء وهو المسمى ترجمان القرآن وقد كان الفاروق رضي الله عنه يسأله عن معاني القرآن فيقبل منه وإن خالفه غيره ممن هو أكبر سنا منه وأقدم صحبة للنبي صلى الله عليه وسلم

وإذا اختلفا فمحال أن يقال قد أعظم ابن عباس الفرية على الله لأنه قد أثبت شيئا نفته عائشة رضي الله عنها والعلماء لا يطلقون هذه اللفظة وإن غلط بعض العلماء في معنى الآية من كتاب الله عز وجل أو خالف سنة أو سننا من سنن النبي صلى الله عليه وسلم لم تبلغ المرء تلك السنن فكيف يجوز أن يقال أعظم الفرية على الله من أثبت شيئا لم ينفعه كتاب ولا سنة فتفهموا هذا لا تغالطوا ثم قال رحمه الله تعالى وقد كنت قديما أقول أن عائشة حكت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما كانت تعتقد في هذه المسألة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرربه جل وعلا وأن النبي صلى الله عليه وسلم أعلمها ذلك وذكر ابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك وأبو ذر رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى ربه لعلم كل عالم يفهم هذه الصناعة أن الواجب من طريق العلم والفقه قبول قول من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى ربه إذ جائز أن تكون عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي قبل أن يرى ربه عز وجل ثم يسمع غيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر أنه قد رأى ربه بعد رؤيته ربه فيكون الواجب من طريق العلم قبول خبر من أخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه انتهى كلامه رحمه الله

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 1074]

حديث الهجرة

وبعد أعوام ثلاثة مضت ... من بعد معراج النبي وانقضت ... أوذن بالهجرة ... نحو يثربا ... مع كل مسلم له قد صحبا

وبعد أعوام ثلاثة وقيل خمسة وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر وهذا الذي في المتن هو اختيار الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في الثلاثة الأصول وله فيه سلف وليست مسألة التاريخ اعتقادية في هذا الباب والإسراء والمعراج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فلا تأثير لاختلاف أهل السير في تاريخه وتعيين سنته ووقته غير أن الراجح فيه كونه بين عاشر البعثة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلى قول من يقول إن خديجة رضي الله عنها أدركت فريضة الصلوات فالمعراج في سنة عشر أو قبلها والله أعلم لأنها توفيت هي وأبو طالب في ذلك العام

أوذن بالهجرة أمره الله عز وجل بها نحو يثرب وهي المدينة المنورة مع كل مسلم في ذاك الزمن له قد صحبا على الأسلام وكانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة

قال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا مطر بن الفضل حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم

أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين
وقال البغوي رحمه الله تعالى في تفسير قول الله عز وجل وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين الأنفال 30 وهذه الآية معطوفة على قوله واذكروا إذ أنتم قليل واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا وإذا قالوا اللهم وأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كان بمكة ولكن الله ذكرهم بالمدينة كقوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله التوبة 40 وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير أن قريشا فرقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت رؤوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان والمطعم بن عدي وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه بن الحجاج وأمية بن خلف فاعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ فلما رأوه قالوا من أنت قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري أما أنا فأري أن تأخذوا محمد وتحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك من قبله من الشعراء قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم والله لئن حبستموه في بيت فخرج أمره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم قالوا صدق الشيخ النجدي فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع والى أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال إبليس لعنه الله ما هذا لكم برأي تعتمدونه تعمدون الى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقه

وحلاوه لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن وليستميلن قلوب قوم ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم قالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى غيره إني أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا فتيا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه بين

القبائل كلها ولا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته فقال إبليس لعنه الله صدق هذا الفتى وهو أجودكم رأيا القول ما قال لا أرى رأيا غيره فتفرقوا على قول أبي جهل وهم مجمعون له فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي يبيت فيه فأذن الله له عند ذلك بالخروج الى المدينة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن ينام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه
ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون يس 8 ومضى الى الغار من ثور هو وأبو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده وكانت الودائع تودع عنده صلى الله عليه وسلم لصدقه وأمانته وبات المشركون يحرسون عليا في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ساروا إليه فرأوا عليا رضي الله عنه فقالوا أين صاحبك قال لا أدري فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة فذلك قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا الأنفال 30 وبسط حديث الهجرة ما ساقه البخاري رحمه الله تعالى قال حدثنا يحيى بن

بكير قال حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير رضي الله عنه أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكره وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريريا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسبح في الأرض وأعبد ربي قال ابن الدغنة فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على النوائب الحق فأنا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج تخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر بمكة يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناءهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلي ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أنى

اخفرت رجلا عقدت له فقال أبو بكر فأنا ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر
قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن في يوم جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فدى له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال فأني قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز وضعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطته على فم الجراب فقطعت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليالي يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيرحها عليهم حين تذهب ساعة

من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن

عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحليتهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل
قال ابن شهاب وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني قد رأيت آنفا أسوده بالساحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا و فلانا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي الى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام
فاستقسمت بها أأضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال اخف عنا فسألته أنيكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب

من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابا بيضا وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظاره فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الأثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاءمن الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل

... اللبن ... هذا الحمال لا حمال خيبر ... هذا أبر ربنا وأطهر

... ويقول ... اللهم إن الأجر أجر الآخره ... فارحم الأنصار والمهاجره

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 1081]

قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام إلا هذا البيت

وهذا الكلام كما ترى ليس من باب الشعر ولا هو في شيء من بحوره وأوزانه وإنما هو كلام منتثر اتفقت تقفيته لا عن قصد كما يقع كثيرا وقال رحمه الله تعالى حدثني محمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن صهيب حدثنا أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم

الى المدينة وهو مردف أبا بكر وأبو بكر شيخ يعرف ونبي الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك فيقول هذا الرجل يهديني السبيل قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وإنما يعني سبيل الخير فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اصرعه فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال فقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا قال فكان أول النهار جاهدا على نبي الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جانب الحرة ثم بعث الى الأنصار فجاءوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فسلموا عليهما وقالوا إركبا آمنين مطاعين فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وحفوا بهما بالسلاح فقيل في المدينة جاء نبي الله جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم فأشرفوا ينظرون ويقولون جاء نبي الله جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يسير حتى نزل دار أبي أيوب فانه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم فجعل أن يضع الذي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى أهله فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم أي بيوت أهلنا أقرب فقال أبو أيوب أنا يا نبي الله صلى الله عليك وسلم هذه داري وهذا بابي قال فانطلق فهيء لنا مقيلا قال قوما على بركةالله تعالى فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد

أنك رسول الله وإنك جئت بحق وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في فأرسل نبي الله صلى الله عليه وسلم فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأني جئتكم بحق فأسلموا قالوا ما نعلمه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار قال فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أفرايتم إن أسلم قالوا حاشا لله ما كان ليسلم قال أفرأيتم إن أسلم قالوا حاشا لله ما كان ليسلم قال أفرأيتم أن أسلم ؟ قالوا حاشا لله ما كان ليسلم قال يا ابن سلام اخرج إليهم فخرج فقال يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق فقالوا كذبت فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا

إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق قال سمعت البراء يحدث قال ابتاع أبو بكر من عازب رحلا فحملته معه قال فسأله عازب عن مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أخذ علينا بالرصد فخرجنا ليلا فأحثثنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة ثم رفعت لنا صخرة أتيناها ولها شيء من ظل قال ففرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة معي ثم اضطجع عليها النبي صلى الله عليه وسلم فانطلقت أنفض ما حوله فإذا أنا براع قد أقبل في غنمه يريد من الصخرة مثل الذي أردنا فسألته لمن أنت يا غلام فقال أنا لفلان فقلت هل في غنمك من لبن قال نعم قلت له هل أنت حالب قال نعم قال فأخذ شاة من غنمه فقلت له انفض الضرع قال فحلب كثبة من اللبن ومعي إداوة من ماء عليها خرقة قد روأتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصببت على اللبن حتى برد أسفله ثم أتيت به النبي صلىالله عليه وسلم فقلت اشرب يا رسول الله فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رضيت ثم ارتحلنا والطلب في إثرنا قال البراء فدخلت مع

أبي بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى فرأيت أباها أقبل وقال كيف أنت يا بنية وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أول ما قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانوا يقرؤون الناس فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل الإماء يقلن قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى الأعلى 1 في سور من المفصل

الإذن بالقتتال ... وبعدها كلف بالقتال ... لشيعة الكفران والضلال ... حتى أتوا ... للدين منقادينا ... ودخلوا في السلم مذعنينا
وبعدها أي بعد الهجرة كلف أى أمر بالقتال في سبيل الله عز وجل لشيعة أعوان الكفر بالله وما أرسل الله به رسله ونزل به كتبه والضلال عن صراطه المستقيم وكان الجهاد بمكة بإقامة الحجة والبيان بما يتلوه عليهم من القرآن من حين أنزل عليه صلى الله عليه وسلم يا أيها المدثر قم فأنذر المدثر 1 الآيات وهي أول ما نزل بعد فترة الوحي وبينها وبين نزول الآيات من

صدرسورة العلق ثلاث سنين فيما ذكر ابن اسحاق رحمه الله وذلك مدة الفترة وسمى الله تعالى تلاوة القرآن على المشركين جهادا لهم فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثرالناس إلا كفورا ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا الفرقان 51 52 وأما الجهاد المحسوس بالسيف فلم يكن بمكة مأمورا إلا بالعفو أو الإعراض عن الجاهلين والصبر على أذاهم واحتمال ما يلقى منهم كقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين الأعراف 199 الآيات وقوله فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الحجر 94 الآيات وغيرها ولهذا قال أئمة التفسير إن آيات الإعراض عن المشركين نسختها آيات السيف فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وصارت لهم دار منعه وإخوان صدق وأنصار حق أذن الله تعالى لهم في الجهاد فقال عز وجل أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا

ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا وينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور الحج 39 41 وقال تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه و يكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين البقرة 190 193 الآيات وقال تعالى فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداءا حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لا نتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض الآيات وقال تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير وإن تولوا فاعملوا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير الأنفال 38 40 وقال تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين التوبة 111 112 وقال تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص

الصف 4 الى أن قال عز وجل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب

أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله الصف 10 14 الآية
وقال النبي صلى الله عليه وسلم
أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله الحديث وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له بأن يقولوا لا إله إلا الله أو كما قال وقال صلى الله عليه وسلم
اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله الحديث
والآيات والأحاديث في الجهاد أكثر من أن تحصى وقد أفردت لها مصنفات مستقلات والجهاد ذروة سنام الإسلام ولا يقوم إلا به كما أن بيان شرائعه لا تقوم إلا بالكتاب ولهذا قرن الله تعالى بينهما فقال لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد في بأس شديد الحديد 25 فالكتاب لبيان الحق والهداية اليه والحديد لحمل الناس على الحق وأطرهم عليه
والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أذن الله له بالقتال وأمره به شمرعن ساعد الاجتهاد في شأنه وكان بينه وبين المشركين ما كان من الوقائع المشهورة والغزوات المذكورة كبدر وأحد والخندق والفتح وغيرها فوق عشرين غزوة وفوق أربعين سرية ونصره الله بالرعب في قلوب أعدائه مسافة شهر حتى فتح

الله به وبكتابه وأنصاره البلاد والقلوب وعمرها ففتح البلاد بالسيف والقلوب بالإيمان وعمر البللاد بالعدل والقلوب بالعلم فلله الحمد والمنة
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف سيف للمشركين واقتلوهم حيث ثقفتموهم البقرة 191 وسيف للمنافقين يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم التوبة 73 وسيف

لأهل الكتاب قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون التوبة 29 وسيف للبغاة وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله الحجرات 9 وقد بدل المهاجرون والأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالهم وأنفسهم في سبيل الله كما وصفهم الله تبارك وتعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون الحجرات 15 وبذل المشركون جهدهم ومجهودهم في عداوته وقتاله وألبوا وتحزبوا كما قال الله تعالى إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم عليهم حسرة ثم يغلبون الأنفال 36 الآيات وقال تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون الصف 8 فقد فعل تبارك وتعالى حتىأتوا للدين دين الإسلام منقادينا الألف للإطلاق طوعا وكرها ودخلوا في السلم أى الإسلام مذعنينا مستسلمين وكان معظم ظهوره بعد الفتح لأن الناس كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشا لأنهم في الجاهلية هم سادة العرب وقادتها وكذلك هم في الإسلام فلما أسلموا

بادر كل قوم بإسلامهم وتواترت الوفود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل فج عميق وانتشر الإسلام وجرت أحكامه وانتشرت أعلامه في كل جزيرة العرب والنبي صلى الله عليه وسلم حي وأنزل الله عز وجل عليه إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا النصر 1 3 ولهذا علم هو أصحابه أن ذلك أجله أعلنه الله به كما قال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر إنه من حيث علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رويت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم قال ما تقولون في قول الله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح النصر 1 فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أكذاك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه قال إذا جاء نصر الله والفتح النصر 1 وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا النصر 3 فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تقول وفرض الله عليه بعد الهجرة جميع الفرائض التي لم تفرض من قبل فالجهاد في السنة الأولى وأتمت صلاة السفر في الأولى وشرع الأذان والصيام وزكاة

الفطر وزكاة النصب وتحويل القبلة الى الكعبة كلها في الثانية وشرع التيمم سنة ست وصلاة الخوف سنة سبع والحج في السادسة وقيل في التاسعة وقيل في العاشرة وفيها حج صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة يوم الجمعة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا المائدة 3 كما قدمنا الحديث في الصحيحين

... وفاته صلوات الله وسلامه عليه
وبعد أن قد بلغ الرساله ... واستنفذ الخلق من الجهاله ... وأكمل الله له الإسلاما ... وقام دين الحق واستقاما ... قبضه الله العلي الأعلى ... سبحانه ... الى الرفيق الأعلى
وبعد أن قد بلغ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة من القرآن وبيانه أمرا ونهيا وخبرا ووعدا ووعيدا وقصصا واستنفذ الخلق حتى أنقذهم الله به من الجهالة من الشرك وما دونه وأكمل الله له الإسلاما بجمع شرائعه ظاهرها وباطنها وقام ظهر دين الحق الذي بعثه الله ليظهره على الدين كله واستقاما اعتدل فلم يبق عليه غبار ولا عنه معدل وذهبت عنه غياهب الشرك وظلم الغي وطغاية الشبهات وجاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا الأسراء 81 قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد سبأ 49 وتبين الرشد من الغي والشرك من التوحيد والصدق من النفاق واليقين من الشك وسبيل النجاة من سبل الشك وطريق الجنة من طريق جهنم ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه فوق بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون الأنفال 37 ولم يبق من خير آجل ولا عاجل إلا دل الأمة عليه ولا شر عاجل ولا آجل إلا وحذرهم منه ونهاهم عنه حتى ترك أمته على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك وترك فيهم مالم يضلوا إن تمسكوا به كتاب الله وبعد هذا قبضه الله العلي بجميع معالي العلو ذاتا وقهرا وقدرا الأعلى بكل تلك المعاني فلا شيء أعلى منه عز وجل سبحانه وكان قبضه إياه الى الرفيق الأعلى وهي أعلى عليين وهي الوسيلة التي هي أعلى درجة في الجنة ولا تنبغي إلا له صلى الله عليه وسلم وقد أمرنا أن نسأل الله له ذلك اللهم آت نبينا محمدا الوسيلة والفضيلة آمين

وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول نهار الاثنين بعد حجة الوداع بفوق ثمانين ليلة قال تبارك وتعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله

الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين آل عمران 144 145 وقال تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون الأنبياء 34 وكل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة آل عمران 185 وقال إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون الزمر 31
وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال ابن عباس يوم الخمس وما الخميس اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه قال
آتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال دعوني فالدي أنا فيه خير مما تدعوني اليه وأوصاهم بثلاث قال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالة أو قال فنسيتها وله عن عائشة رضي الله عنها دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فأبده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فأخذت السواك فقصمته ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن به فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استن استنانا قط أحسن فما عدا أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده أو إصبعه ثم قال في الرفيق الأعلى ثلاثا ثم قضى وكانت تقول مات ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي وفي رواية قالت وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه

ويقول لا إله إلا الله إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده وفي أخرى قالت فجمع الله بين ريقي وريقه في آخريوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة
وفي الصحيحين وهذا لفظ مسلم عن عبيد الله بن عبد الله قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها ألا تحدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت بلى ثقل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أصلى الناس قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله قال ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله فقال ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال أ صلى الناس فقلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله فقال ضعوا لي ماء في المخضب ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس فقلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله قال والناس

عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر أن يصلي بالناس فأتاه الرسول فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر كأن تصلي بالناس فقال أبو بكر وكان رجلارقيقا يا عمر صل بالناس قال فقال عمر أنت أحق بذلك قالت فصلى أبو بكر بالناس تلك الأيام ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ اليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يتأخر وقال لهما أجلساني الى جنبه فأجلساه الى جنب أبي بكر وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد الحديث وفيه عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع

رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظرنا اليه وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا فبهتنا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج للصلاة فأشار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن أتموا صلاتكم قال ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرخى الستر قال فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك وفي رواية قال لم يخرج إلينا نبي الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكريتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فدفعه فلما وضح لنا وجه نبي الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان أعجب إلينا من وجه النبي صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا

وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني أبو سلمة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشي بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لا يجمع عليك موتتين أما الموته التي كتبت عليك فقد متها قال الزهري وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمرأن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر أما بعد من كان منكم يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله الشاكرين

آل عمران 144 145 وقال والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله تعالى أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمررضي الله عنه قال والله ما

هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى لا تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته قالها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات

تبليغه صلوات الله عليه رسالة الله
نشهد بالحق بلا إرتياب ... بأنه المرسل بالكتاب ... وأنه بلغ ما قد أرسلا ... ... به وكل ما إليه أنزلا
نشهد بالحق بيقين وصدق بلا ارتياب بدون شك بأنه المرسل بالكتاب بالقرآن الى كافة الناس من الجن والإنس بشيرا ونذيرا قال الله تبارك وتعالى ممتنا على عبادة المؤمنين ببعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين آل عمران 164 وقال تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الجمعه 2 4 وقال تبارك وتعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم التوبة 128 يمتن تبارك وتعالى بأجل نعمه على عباده وأعظمها وأعلاها وأتمها وأكملها ارساله فيهم محمد صلى الله عليه وسلم رسولا من عند الله تبارك وتعالى العلي العظيم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير بكلامه الذي هو صفته وهو كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ليهديهم به من الضلالة ويبصرهم به من العمى وينقذهم به من دركات الردى ويخرجهم به من الظلمات الى النور بإذنه كتاب أنزلناه لتخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في

الأرض إبراهيم 1 يالها نعمة ما أعظمها وأجلها ومنه ما أكملها واجزلها لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم آل عمران 164 أكمل تلك النعمة وأتمها وزادها إجلالا بكون ذلك الرسول من أنفسهم يعرفون شخصه ونسبه ورحمه ما من أهل بيت من العرب إلا وله صلى الله عليه وسلم فيهم نسب قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى الشورى 23 ثم جعل الرسالة بلسانهم الذي به يتحاورون ومن جنس كلامهم الذي فيه يتفاخرون معجزا بالفصاحة التي في ميدانها يتسابقون بأوضح المباني وأفصحها وأكمل المعاني وأصحها مع اتساق سياقه وسلاسة ألفاظه وانتساق تراكيبه وملاحة مفرداته ثم مع هذا التالي له من أنفسهم رسول من عند ربهم ثم هو صلى الله عليه وسلم مؤد لتلك الأمانة مبلغ كلام ربه كما قال رب العزة لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم بالمعنى فقط بل كما قال عز وجل يتلو عليهم آياته الضمير لله عز وجل ليسمعوا لذيذ خطابه ويتأملوا لطيف عتابه كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولو الألباب ص 29 ويزكيهم يطهرهم ظاهرا وباطنا حسا و معنى لمن التزمه واتبعه أما قلوبهم فيزكيها بالإيمان من دنس ورجس الشرك ورجزه كما قال تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور الحج 30 ووالرجز فاهجر المدثر 5 وكذا يطهرهم بمحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة من مساوئها وكذا يطهرهم من جميع الذنوب بالتوبة النصوح وكذا يطهر ظواهرهم بما أمرهم به وأرشدهم اليه من الطهارات الحسية من الأحداث والأنجاس على اختلاف أضرابها ويعلمهم الكتاب القرآن المجيد والحكمة السنة النبوية التي هي تبيان القرآن وتفسيره وتوضيحه وتدل كما قال تعالى له صلى الله عليه وسلم وأنزلنا عليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم النحل 44 وقال النبي صلى الله عليه وسلم
أتيت القرآن مثله يعني السنة
وإن كانوا من قبل إرساله اليهم وبعثه فيهم لفي ضلال مبين من الشرك وعبادة الأصنام وغير ذلك من السبل المضلة عن الصراط المستقيم

الموجبة لدخول جهنم والخلود في عذابها الأليم المقيم أجارنا الله منها وذلك تأويل دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام إذ يقول فيما أخبر الله عنه ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمةويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم البقرة 129 فاستجاب الله له تلك الدعوة المباركة كما قضى الله عز وجل ذلك في الأزل وسبق علمه وسطره في كتابه وأخذ على رسله الميثاق في الإيمان به والقيام بنصره كما قال تبارك وتعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمن به

ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون آل عمران 81 82 وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى الترمذي كنت نبيا وآدم منجدل في طينته وفي رواية أخرى وآدم بين الروح والجسد يعني وجبت له في الكتاب ولأن السائل قال له متى وجبت لك النبوة هذا معنى الحديث وقال صلى الله عليه وسلم
أنا دعوة أبي أبزاهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي أو كما قال فأما دعوة إبراهيم فما في الآية السابقة وأما بشرى عيسى فقول الله عز

وجل وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد الصف 6 الآية وأما رؤيا أمه فإنها رأت كأنه خرج منها نورا أضاء له قصور بصرى من أرض الشام الحديث وقد شهد الله تبارك وتعالى له بالرساة كما شهد لنفسه بالإلهية فقال تعالى والله يعلم إنك لرسوله المنافقون 63 وقال تعالى لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا النساء 166 وقال تعالى إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم البقرة 119 الآيات وقال تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا الأحزاب 45 الآيات وقال تعالى وأرسلنا للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من أيطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا النساء 79 وغير ذلك من الآيات وقال تبارك وتعالى في عموم رسالته الى الأحمر والأسود والجن والإنس وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا سبأ 28 قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون الأعراف 156 158 ومعنى كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب وكذلك أمته أميه لا يقرأون ولا يكتبون قال الله تبارك وتعالى وما كنت

ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمه من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين القصص 86 وقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون العنكبوت 48 الآيات وقال تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الشورى 52 وقال تعالى تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا هود 49 وغير ذلك من الآيات

وقال تعالى أيضا في ذكر عموم رسالته الى أهل الشرائع من قبله يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم المائدة 14 16 الآيات يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون آل عمران 64 وقال تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله مصدقا لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون البقرة ك 101 وقال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقا لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنه الله على الكافرين البقرة 89 وغير ذلك من الآيات

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله الي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة

وفيه عنه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه

قال والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار وفي حديث الخصائص وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وهو في الصحيحين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لو كان موسى حيا واتبعتموه وتركتموني لضللتم وقال صلى الله عليه وسلم لوكان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي وأخبر صلى الله عليه وسلم

أن عيسى ينزل حكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقيم كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ناسخ ولا مغير لشريعته ولا يسع أحدا الخروج عنها ولله الحمد والمنة

اختصاصه صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة
والمقصود أن الله تبارك وتعالى اختصه بعموم الرسالة الى الثقلين ولم يقبل من أحد صرفا ولا عدلا إلا باتباعه ولا يصل أحد دار السلام التي دعا الله اليها عباده إلا من طريقه فهو صلى الله عليه وسلم أكرم الرسل وأمته خير الأمم وشريعته أكمل الشرائع وكتابه مهيمن على كل كتاب أنزل لا نسخ له بعده ولا تغيير ولا تحويل ولا تبديل وأيده الله تعالى بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة التي

أعظمها هذا القرآن الذي تحدى الله به أفصح الأمم وأبلغها وأقدرها على المنطق وأكثرها فيه اتساعا وأطولها فيه باعا وأكملها على أضربه وأنواعه اطلاعا مع عظم محادتهم له مشاقتهم فيه وشدة حرصهم على رده وهو ينادي عليهم بأبلغ عبارة وأوجزها وأمتنها وأجزلها أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين الطور 43 أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات هود 13 وإن كنتم في ريب مما أنزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين البقرة 23 ثم نادى عليهم بالعجز عن ذلك كله فلا يقدر أحد منهم على شيء منه لا مجتمعين ولا متفرقين لا في زمن واحد ولا في أزمان فقال تعالى قل لئن أجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا الإسراء 88 وغير ذلك من الآيات
ولهذا لما أراد مسيلمة الكذاب معارضته مكابرة ومباهاته مع علمه أنه لا يقدر على شيء البتة فلما فعل ذلك جعل الله تعالى كلامه أسمج ما يسمع وأرك ما ينطق به وصار أضحوكة للصبيان في كل زمان ومكان حتى أنه لا يشبه كلام العقلاء ولا المجانين ولا النساء ولا المخنثين وصار كذبه معلوما عند كل أحد ووسمه الله عز وجل على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باسم الكذاب فلا يسمى إلا به ولا يعرف إلا به حتى صار أشهر من عليه العلم بل لا علم له غيره أبدا ويروى أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن فقال نعم أعمل مثل بعضه فاحتجب أياما كثيرة ثم خرج فقال والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى

بعد استثناء ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا قلت وهذا الذي قاله الفيلسوف مقدار فهمه ومبلغ علمه وإلا فبلاغة القرآن فوق ما يصف الواصفون وكيف يقدر البشر أن يصفوا صفات من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
ومن ذلك انشقاق القمر قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر القمر 1 الآيات وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا زاد في رواية ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
ومنها حنين الجذع اليه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا قال إن شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يقوم الجمعة دفع الى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمها اليه تئن أنين الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها وفي رواية قال فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا من ذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت

فيا حامدا معنى بصورة عاقل ... أمالك من القلب شهيد ولا سمع ... يحن اليه ... الجذع شوقا وما لنا ... ألسنا بذاك الشوق أولى من الجدع
ومنها تسبيح الطعام وتكثير القليل بإذن الله عز وجل ونبع الماء من اصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نعد الآيات بركه وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضله من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال حي على الطهور المبارك وبركه من الله عز وجل فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وعن أنس رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من أصابعه فتوضأ القوم قال وكانوا ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة
وعن سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال ما لكم قالوا ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا

وتوضأنا قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي صلى الله عليه وسلم على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا ورويت وأصدرت ركائبنا وعن أنس بن مالك قال قال أبو طلحة لأم سليم لقد

سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء قالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذهب به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك أبو طلحة فقلت نعم قال بطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموافانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلم يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا
وعن جابر رضي الله عنه أن أباه توفي وعليه دين فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت إن أبي ترك دينا وليس عندي إلا ما يخرج نخله ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فانطلق معي لكيلا يفحش علي الغرماء فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم وفي حديث أبي قتادة الطويل في تلك الغزوة ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من من ماء فتوضأ منها وضوءا دون وضوء قال وبقي منها شيء من ماء ثم قال لأبي قتادة احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ الحديث الى أن قال فانتهينا الى الناس حين امتد النهار وحمى كل شيء وهم يقولون يا رسول الله

هلكنا عطشنا فقال لا هلك عليكم ثم قال اطلقوا لي غمري قال ودعا بالميضأة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة تكابوا عليها فقال رسول اللله صلى الله عليه وسلم احسنوا الملء كلكم سيروى قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب ويسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله قال إن ساقي القوم آخرهم شربا قال فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتى الناس الماء جامين رواء
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لاعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن أية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهداه لك فلان أو فلانة قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون الى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فاءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطهم قال فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فأعطي

الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح حتى انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر الي فتبسم فقال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
وقال أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا سليمان بن داود المهر حدثنا ابن وهب

أخبرني يونس عن ابن شهاب قال كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها و أكل رهط من أصحابه معه ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الي المرأة فدعاها فقال لها أسممت هذه الشاة قالت اليهودية من أخبرك قال أخبرتني هذه التي في يدي وهي الذراع قالت نعم قال فما أردت بذلك قالت قلت إن كنت نبيا فلن تضرك وإن لم تكن نبيا استرحنا منك الحديث وهو في الصحيح البخاري عن أبي هريرة في مواضع مختصرا ومطولا لكن الشاهد منه في هذه الرواية أصرح وهو قوله أخبرتني هذه للذراع وقد رواه جماعة من الصحابة في عامة الأمهات وغيرها ودلائل نبوته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى في الأسفار فضلا عن هذا المختصر وقد جمعت فيها التصانيف المستقلات من المختصرات والمطولات وبالله التوفيق
وكذا قد صنف التصانيف في صفاته الخلقية والخلقية وسيرته وشمائله ومعاملاته مع الحق ومع الخلق فلتراجع لها مصنفاتها وكذا خصائصه

التي انفرد بها في الدنيا والآخرة عن غيره من الرسل السماويين والأرضيين وقد تقدم التنبيه على مهمات من ذلك
و نشهد أنه بلغ الى الناس كافة ما أي الذي قد أرسلا بالبناء للمفعول والألف للاطلاق به من ربه وكل ما اليه انزلا من الكتاب والحكمة
وفي هذا البحث مسائل عظيمة الخطر جليلة القدر
الأولى أنه أي الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله عز وجل لم يقل شيئا من راية فيما يتعلق بالتبليغ بل ليس عليه إلا بلاغ الرسالة من الله الى الناس وتلاوة آياته على الناس وتعليمهم الحكمة والتبيان وذلك معنى كونه صلى الله عليه وسلم رسول الله فأمره ونهيه تبليغ لأمره ونهيه وأخباره وقصصه تبليغ لما قصه الله وأخبر به ولذا كان طاعته طاعة لله عز وجل ومعصيته معصية لله عز وجل وتكذيبه تكذيبا لإخبار الله عز وجل في أنه رسوله قال الله تبارك وتعالى وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقذ أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا النساء 79 وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون الأنفال 20 21 وقال تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعملوا أنما على رسولنا البلاغ المبين المائدة 92 وقال تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين النور 54 وقال تعالى فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ الشورى 48 وقال تعالى إنما أنت منذر ولكل قوم هاد الرعد 7

وقال تعالى إن أنت إلا نذير فاطر 23 وقال قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار ص 65 وقال تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه الكهف 110 وقال نحن أعلم بما يقولون وما

أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ق 45 وقال تعالى قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له جهنم خالدين فيها ابدا الجن 22 وقال فذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين الذريات 55 وقال تعالى فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى الأعلى 9 وقال تعالى قذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر الغاشية ك 21 وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الحشر 7 وغير ذلك من الآيات وما ينطق عن الهوى إن هو وحي يوحى علمه شديد القوى النجم 4 وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول الله وما ربيعة ومضر قال إنما أقول ما أقول وله عن عبد الله بن عمر وقال كنت أكتب كل شيء أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق وله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لا أقول إلا حقا قال بعض أصحابه فإنك تداعبنا قال إني لا أقول إلا حقا وللبزار

عنه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه وغير ذلك من الأحاديث ويكفي في ذلك قول الله تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الحاقة 44 الآيات
المسألة الثانية أنه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أرسل به لم يكتم منه

حرفا واحدا قال الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس المائدة 67 وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال لاألفين أحدكم يوم القيامة على رقبه بعير له وغاء يقول يا رسول الله أغثني
فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني
فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أغثني
فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني
فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفض فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك
وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل
قوله صلى الله عليه وسلم وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء

وينكتها الى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد ثلاث مرات الحديث وفيهما من حديث ابن عباس في ذلك الجمع الأعظم حين خطب اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت ومن حديث أبي بكرة في تلك الخطبة أيضا إلا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم أشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع وفي صحيح البخاري من رواية أبي جحيفه وهب بن عبد الله السوائي قال قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن فقال لا والذي فلق الحبة ويرأالنسمة إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر وفيه من رواية الأعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم المدينة حرم ما بين عير الى كذا من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أحمعين الحديث وفي رواية قال خطبنا علي رضي الله عنه على منبر من آجر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة فقال والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل وإذا فيها المدينة حرم من عير الى كذا فمن أحدث فيها حدثا

فعليه لعنة الله والملائكة والناس أحمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وإذا فيه ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أحمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وإذا فيها من والى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أحمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولابن أبي حاتم عن هارون بن عنترة عن أبيه قال كنت

عند ابن عباس فجاء رجل فقال له إن أناسا يأتون فيخبرونا أن عندكم شيئا لم يبده رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقال ابن عباس ألم تعلم أن الله تعالى قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته المائدة 67 والله ما ورثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء في بيضاء وإسناده جيد وتقدم قول عائشةرضي الله عنها قالت من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب والله تعالى يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك المائدة 67 الآية
المسألة الثالثة أن هذا الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى هو جميع دين الإسلام مكملا محكما لم يبق فيه نقص بوجه من الوجوه فيحتاج الى تكميل ولم يبق فيه إشكال فيحتاج الى حل ولا إجمال فيفتقر الى تفصيل قال الله تعالىة ما فرطنا في الكتاب من شيء الأنعام 38 فكما أن الإمام المبين قد أحصى كل ما هو كائن كما علمه الله عز وجل فكذلك هذا القرآن واف شاف كاف محيط بجميع أصول الشريعة وفروعها وأقوالها وأعمالها وسرها وعلانيتها فمن لم يكفه فلا كفى ومن لم يشفه فلا شفى أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون العنكبوت 51 فبأي حديث بعده يؤمنون وكما وفى بتقرير الدين وتكميله وشرحه وتفصيله كذلك هو واف بالذب عنه وبرد كل شبهة نرد عليه وبقمع كل ملحد ومعاند ومشاق ومحاد وبدمغ كل باطل وإزهاقه ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الفرقان 33 بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق الأنبياء 18 إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون الحجر 9

إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي أمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعلمون بصير إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو

عقاب أليم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد فصلت 40 44
وكذلك السنة من جوامع كلم الرسول صلى الله عليه وسلم التي اختصه الله بها هي روح المعاني والوحي الثاني والحكمة والبيان وتبيان القرآن والنور والبرهان فلم يتوف صلى الله عليه وسلم حتى بين الشريعة أكمل بيان ولم يكن ليتوفاه الله تعالى قبل بيان ما بالناس اليه حاجة في دينهم ودنياهم وآخرتهم والله تعالى يقول وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه هدى ورحمة لقوم يؤمنون النحل 64 ويقول تعالى وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم ولعلهم يتذكرون النحل 44 ثم يخبر أنه ما أنزل عليك الكتاب إلا لذلك فكيف يتوفاه قبل إنفاد ذلك وإنجازه مع قوله تعالى له صلىالله عليه وسلم ولأمته كلهم ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما أرسلنا فيكم رسولا يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون البقرة 151 فكيف يعدنا تعالى بإتمام النعمة وإكمال الدين ثم يتوفى رسوله قبل إنجاز ذلك وهو عز وجل لا يخلف الميعاد والذي بعثه بالحق بشيراونذيرا ما توفاه الله عز وجل حتى بلغ ما أرسله الله به أكمل بلاغ وبينه أتم بيان وفصله أوضح تفصيل وأكمل به الدين وأتم علينا النعمة ولهذا أنزل عليه في آخر ما أنزل في يوم الجمعة الذي اختص به هو وأمته وهداهم له في أشرف موقف وأفضل عشية يوم الحج الأكبر وهو واقف بعرفة في ذلك الجمع الأعظم الذي لم يتفق وقوع مثله ولم يتفق أكثر الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم بعده اليوم أكملت لكم دينكم

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 1112]

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا المائدة 3 فأخبر فيها بأكمال دينه الذي وعدنا إظهاره في قوله عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون التوبة 33 وبإتمامه النعمة كما وعد في قوله تعالى ولأتم عليكم نعمتي وتقدم الحديث الصحيح في قول اليهودي لعمر في شأنها وما رد عليه به وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم المائدة 3 وهو الإسلام أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم شرائع الإيمان فلا يحتاجون الى زيادة أبدا وقد أتمه فلا ينقصه أبدا وقد رضيه فلا يسخطه ابدا قلت وفي ضمن هذا الخطاب معنى فارضوا به أنتم لأنفسكم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وأمرنا بهذا الذكر في كل مساء وصباح وقال أسباط عن السدي نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات قالت أسماء بنت عميس حججت مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم تلك الحجة فبينما نحن نسير إذ تجلله جبريل فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما يميلها من القرآن فبركت فأتيته فسجيت عليه بردا كان علي وقال ابن جرير وغير واحد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوما رواهما ابن جرير وله عن هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت اليوم أكملت لكم دينكم وذلك يوم الحج بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال رضي الله عنه كنا في زيادة من ديننا فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص صدقت وقال ابن عباس رضي

الله عنهما في قول الله تعالى ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الفرقان 33 قال ولا يأتونك بمثل أي بما يلتمسون به غير القرآن والرسول إلا جئناك بالحق الآية أي لإنزال جبريل من الله تعالى بجوابهم
وما هذا إلا اعتناء وكبر شرف للرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحا ومساءا وليلا ونهارا سفرا وحضرا وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كإنزال الكتب قبله المتقدمة فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم أحمعين
فالقرآن أشرف كتاب انزله الله ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم نبي أرسله الله تعالى وقد جمع الله للقرآن الصفتين معا ففي الملأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك الى الأرض منجما بحسب الوقائع والحوادث كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الفرقان 33 وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا الإسراء 106
وكما وفى بالرد على كل مشاق لله ورسوله من الوثنيين والمنافقين والكتابيين و وغيرهم ونزل منجما على حسب ذلك فكذلك هو واف برد شبهةكل ملحد الى يوم القيامة اقرأ على من ادعى النبوه ولكن رسول الله وخاتم النبيين الأحزاب 40 وعلى الدجال فواتح سورة الكهف وعلى المعطل والمشبه ليس كمثله شيء وهو السميعالبصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعلى النافي للقدر من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم الأنعام 39 إنا كل شيء خلقناه بقدر القمر 49 وعلى الجبرية الغلاة لا يكلف الله نفسا إلا وسعها البقرة 286 رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل النساء 165

قل فلله الحجة البالغة الأنعام 149 فلو شاء لهداكم أجمعين الأنعام 149 وعلى نفاه الرؤية وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة القيامة 23 وعلى الرافضة ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا التوبة 40 وعلى الناصبة والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه التوبة 100 الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا الأحزاب 33 وعلى الفريقين والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا الحشر 10 وعلى كل ذي بدعة مطلقا اليوم أكملت لكم دينكم الى آخرها مع قوله تعالى أفغير دين الله يبغون آل عمران 83 ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه آل عمران 85

المسألة الرابعة أن هذا الدين التام المكمل الذي أبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة لا يقبل زيادة على ما شرع فيه من أصول الملة وفروعها ولا نقصا منها ولا تغييرا ولا تبديلا ولا يقبل من أحد دينا سواه ولا تقبل لأحد عبادةلم يتعبدها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ولا يعبد الله تعالى إلا بما شرع وهذه المسألة يأتي إن شاء الله الكلام عليها في الفصل الأخير والله المستعان

المسألة الخامسة أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل فلا نبي بعده وكتابه خاتم الكتب فلا كتاب بعده فهو محكم أبدا وهذه المسألة هي المشار اليها بهذا البيت والذي بعده ... وكل من من بعده قد ادعى ... نبوة فكاذب فيما ... ادعى ... فهو ختام الرسل باتفاق ... وأفضل الخلق على الإطلاق

قال الله تبارك وتعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما الأحزاب 40 وقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

شهيدا البقرة 143 وقال تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل آل عمران 144 وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده النساء 163 الى غير ذلك من الآيات

وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني معن عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب ورواه مسلم وزاد وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي وله عن أبي موسى رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه أسماء

فقال أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة
وقال البخاري رحمه الله تعالى باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن سنان حدثنا سليم حدثنا سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دار فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها يتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة رواه مسلم وزاد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأما موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال
إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا

وضعت هذه اللبنة قال صلى الله عليه وسلم فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين رواه مسلم من طرق وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل النبيين فذكر نحوه وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها وجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذي عن أبي عامر العقدي به وقال حسن صحيح وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى تبوك واستخلف عليا فقال
أتخلفني في الصبيان والنساء قال ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي ورواه مسلم من طريق مصعب هذه ومن طريق سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي قال سعيد فأحببت أن أشافه بها سعدا فلقيت سعدا فحدثته بما حدثني به عامر فقال أنا سمعته فقلت أنت سمعته فوضع إصبعيه على أذنيه فقال نعم وإلا سكتا وتقدم في حديث ذكر الدجال قوله صلى الله عليه وسلم إنه يبديء فيقول إنه نبي وأنا خاتم النبين ولا نبي بعدي الحديث وفي حديث ثوبان الطويل

عند أبي داود وغيره
وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي وللبخاري ومسلم وهذا لفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا هدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وفي رواية وكذلك هم
تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفي صحيح البخاري في غير موضع من صحيحه من طرق عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط فقال من يعمل من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فقال من يعمل من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين قال ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ألا لكم الأجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فإنه فضلي أوتيه من شئت ولهما عن أبي حازم قال قاعدت أبا هريرة رضي الله عنه خمسين سنين سمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
كانت بنو إسرائيل

تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلف نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا قال فوا بيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم فإن الله تعالى سائلهم عما استرعاهم وروى الإمام أحمد والترمذي وصححه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قال فشق ذلك على الناس فقال ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة وللبخاري من حديث أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة إلا

المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة
وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلي بن حجر قالوا حدثنا اسماعيل وهو ابن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وروى الإمام أحمد عن العرباض ابن سارية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وله عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال خرج رسول الللله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال
أنا محمد النبي الأمي ثلاثا ولا نبي بعدي أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه

وقد وردت عدة أحاديث في صفة خاتم النبوة بين كتفيه آية باهرة ودلالة ظاهرة على أنه لانبي بعده لا بأس أن نذكر ما تيسر منها فروى البخاري ومسلم عن السائب عبد الله بن يزيد رضي الله عنه قال ذهبت بي خالتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن ابن أختي وقع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة وتوضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت الى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة ولمسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم رأسه ولحيته وكان إذا ادهن لم يتبين وإذا شعث رأسه تبين وكان كثير شعر اللحية فقال رجل وجهه مثل السيف قال بل كان مثل الشمس والقمر وكان مستديرا ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامه يشبه جسده وفي رواية قال رأيت خاتما في ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمام وله عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزا ولحما أو قال ثريدا قال فقلت له أستغفر لك النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم ولك ثم تلا هذه الآية واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال ثم درت خلفه فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه عن ناغض كتفه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل وروى أبو داود الطيالسي عن معاوية بن قرة عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسولا الله أرني الخاتم
فقال أدخل يدك فأدخلت يدي في جربانة فجعلت ألمس أنظر الى الخاتم فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة فما منعه ذاك أن جعل يدعو لي وإن يدي لفي جربانه ورواه النسائي وروى الإمام أحمد عن أبي رمثة التيمي قال خرجت مع أبي حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت رأسه ردع حناء ورأيت على كتفه مثل التفاحة فقال أبي إني طبيب أفلا أطبها لك قال طبيبها الذي خلقها قال وقال

لأبي هذا ابنك قال نعم قال أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه
وروى البيهقي عن سلمان الفارسي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى رداءه وقال
يا سلمان انظر الى ما أمرت به قال فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة وروى يعقوب بن سفيان بإسناده عن التنوخي الذي بعثه هرقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك الحديث وفيه فحل حبوته عن ظهره ثم قال ههنا امض لما أمرت به قال فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الحجمة الضخمة وروى الإمام أحمد عن عياث البكري قال كنا نجالس أبا سعيد الخدري بالمدينة فسألته عن خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان بين كتفيه فقال بأصبعه السبابة هكذا لحم ناشز بين كتفيه صلى الله عليه وسلم وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبي حسين حدثنا نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول إن جعل لي محمد من بعده يعني الأمر تبعته وقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه
وقال لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت وهذا ثابت يجيبك عني ثم انصرف عنه قال ابن عباس فسألت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت فأخبرني أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب

فأهمني شأنهاما فأوحى إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنسى والآخر مسيلمة حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض فوضع في كفي سواران من ذهب فكبر علي فأوحي الي أن انفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة والأحاديث

في هذا الباب كثيرة جدا وفيما أشرنا اليه كفاية
فهو محمد صلى الله عليه وسلم ختام الرسل فلا نبي بعده والرسالة من باب أولى إذ لا يرسل إلا بعد أن يتنبأ فالنبوة وحي مطلق مجردا فإن أمر يتبليغه فرسالة فكل رسول نبي ولا عكس باتفاق من كل كتاب منزل وكل نبي مرسل وكل مؤمن بالله واليوم الآخر وأفضل الخلق كلهم على الاطلاق بلا استثناء قال الله تبارك وتعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات البقرة 253
قال أئمة التفسير من الصحابة فمن بعدهم هو محمد صلى الله عليه وسلم وتقدم قوله صلى الله عليه وسلم
أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد أخذ الله عز وجل على جميع الرسل الميثاق في الإيمان به ونصرته وبشر به كل نبي قومه وبعث الى الجن والإنس والأسود والأحمر كافة وأتى في الدنيا من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله من انشقاق القمر وحنين الجذع اليه ونبع الماء من أصابعه وتسليم الأشجار والأحجار عليه وغير ذلك
أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم هذا القرآن
وأعظم معجزاته هذا القرآن معجزة خالدة أبدا الآبدين ودهر الداهرين لا

تفني عجائبه ولا يدرك غاية إعجازه ولا يندرس بمرور الأعصار ولا يمل مع التكرار بل يجلى مع ذلك ويتجلى ويعلو على غيره ولا يعلى وكل معجزة قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبقى إلا تذكارها وهو كل يوم براهينه في في مزيد ومعجزاته في تجديد ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فصلت 42
وقد ظهر فضيلته صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إماما وعلوة فوق الجميع مقاما حتى جاوز السبع الطباق الى سدرة المنتهى الى حيث شاء الله عز وجل واختص صلى الله عليه وسلم بأشياء أخر في سماحة شريعته ووضع الآصار عن أمته وكونه أكثرهم تابعا وكذلك يبدو فضله في الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض وأول مشفع وأول من يستفتح باب الجنة أول من يدخلها من الأمم أمته وله الحوض المورود وهو الكوثر وهو أكثر الأنبياء واردا وله اللواء المعقود وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وله المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ويرغب اليه كل الخلائق حتى إبراهيم خليل الرحمن وهو وأمته أول من يجوز الصراط وهم ثلث أهل الجنة لما جاء أنهم ثمانون صفا وغيرهم من الأمم أربعون صفا وهذه عدة صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفا ويشفع الواحد من أمته في مثل ربيعة ومضر وله صلى الله عليه وسلم الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة ليس فوقها إلا عرش الرحمن عز وجل وليست هي لأحد غيره صلى الله عليه وسلم

وغير ذلك من مقاماته العلية التي لا ينالها غيره ولا يدركها سواه وهذا مقام يطول ذكره ولا يحيط بغايته إلا الذي اصطفاه له وأكرمه به جعلنا الله عز وجل ممن اقتدى به واهتدى بهديه وكان هواه تبعا لما جاء به آمين

مسألة

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئا كرهه فقال لا والذي اصطفى موسى على البشر فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم خده وقال تقول والذي اصطفى موسى على البشر

والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فذهب اليهودي إليه صلى الله عليه وسلم فقال أبا القاسم إن لي ذمة وعهدا فما بال فلان لطم وجهي فقال لم لطمت وجهه فذكره فغضب النبي صلى الله عليه وسلم حتى رؤى في وجهه ثم قال

لا تفضلوا بين أنبياء الله عز وجل فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون وول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس ابن متى ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

ما ينبغي لعبد أن يقول إلي خير من يونس بن متى ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا ينبغى لعبد أن يقول أن خير من يونس بن متى وفي رواية لمسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يعني الله ت تبارك وتعالى لا ينبغي لعبد لي الحديث

قال النووي رحمه الله تعالى في الحديث الأول قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا بين أنبياء الله جوابه من خمسة أوجه

أحدها أنه صلىالله عليه وسلم قال قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به

والثاني قاله أدبا وتواضعا

والثالث أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي الى تنقيص المفضول

والرابع إنما نهى عن تفضيل يؤدي الى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث

والخامس أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وإنما

التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى وجها أن التفضيل ليس إليكم وإنما هو الى الله عز وجل وعليكم الانقياد له والتسليم والإيمان به اه
قلت الوجه الأول من كلام النووي ضعيف والثاني والخامس فيهما نظر والرابع قريب ويقوى عندي الوجه الثالث مع ما ذكره ابن كثير فليس التفضيل بالرأي ومجرد العصبية ولا بما يلزم منه تنقص المفضول والحط من قدرة كل هذا وما في معناه محرم قطعا منهى عنه شرعا وهو الذي غضب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يقصده ذلك الأنصاري رضي الله عنه فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ونهيه عن ذلك تعليم عام للأمة وزجر بليغ لجميعهم كيلا يقع ذلك أو يصدر عن أحد منهم فيهلك و أما التفضيل بما أكرمه الله عز وجل ورفع به درجته ونوه في الوحي بشرفه من الفضائل الشرعية والأخروية وغير ذلك مما شهد الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم مما ذكرنا ومما لم نذكر فهو الذي يجب اعتقاده والإيمان به والتصديق والانقياد له والتسليم فلا يؤخذ علم ما يختص بالله ورسوله إلا عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم والله المستعان وبه التوفيق
وقال النووي رحمه الله تعالى فيما قاله صلى الله عليه وسلم في شأن يونس أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا زاجرا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئا من حط مرتبة يونس صلى الله عليه وسلم من أجل ما في القرآن من قصته قال العلماء وما جرى ليونس صلى الله عليه وسلم لم يحطه من درجة النبوة مثقال ذرة وخصص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذكر وأما قوله صلى الله عليه وسلم
ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس فالضمير قيل يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يعود الى القائل أي لا يقول ذلك بعض الجاهلين من

المجتهدين في عبادة أو غير ذلك من الفضائل فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة ويؤيد هذا التأويل الرواية التي فيها قوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متوالله أعلم

فصل في من هو أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر الصحابة بمحاسنهم والكف عن مساويهم وما شجر بينهم رضي الله عنهم
أهم ما في هذا الفصل خمس مسائل الأولى مسألة الخلافة والثانية فضل

الصحابة وتفاضلهم بينهم والثالثة تولى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته سلام الله ورحمته وبركته عليهم ومحبة الجميع والذب عنهم الرابعة ذكرهم بمحاسنهم والكف عن مساويهم والخامسة السكوت عما شجر بينهم وأن الجميع مجتهد فمصيبهم له أجران أجر على اجتهاده وأجر على اصابته ومخطؤهم له أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور

خلافة الصديق رضي الله عنه

وبعده الخليفة الشفيق ... نعم نقيب الأمة الصديق ... ذاك رفيق المصطفى ... في الغار ... شيخ المهاجرين والأنصار ... وهو الذي بنفسه تولى ... جهاد من ... عن الهدى تولى

وبعده أي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخليفة له في أمته الشفيق بهم وعليهم نعم فعل مدح نقيب فاعل نعم والنقيب عريف القوم و افضلهم الصديق هو المخصوص بالمدح وهو النقابة منه لجميع الأمة

وهو أبو بكر عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة التيمي أول الرجال إسلاما وأفضل الأمة على الإطلاق رضي الله عنه فلنسق الكلام أولا في خلافته ثم في مقاماته أيام خلافته رضي الله عنه

فأما خلافته فقد تقدم الحديث في تقديم النبي صلى الله عليه وسلم إياه إماما في الصلاة مقامه أيام مرضه صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيحين من طرق عن عائشة بألفاظ وعن جماعة

غيرها من الصحابة رضي الله عنهم في الصحيحين وغيرهما منهم أنس وابن عباس وسهل بن سعد وأبو موسى الأشعري وعمر بن الخطاب

وقد راجعته عائشة وحفصة رضي الله عنهما مرارا وهو يكرر مرارا عديدة يقول مروا أبا بكر فليصل بالناس مروا أبا بكر فليصل بالناس مروا أبا بكر فليصل بالناس ولما أشير بغيره حرك يده وقال ليصل بالناس ابن أبي قحافة

وفي رواية يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر رضي الله عنه

وروى البخاري ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع اليه قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال صلى الله عليه وسلم إن لم تجديني فأتي أبا بكر

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن

وفيهما عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما كان

يحدث أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل وإذا سبب

واصل من الأرض الى السماء فأراك أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فينقطع ثم وصل فقال أبو بكر يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعبرها قال أما الظلة فالإسلام وأما الذي ينطف السمن والعسل فالقران حلاوته تنطف فالمستكثر من القران والمستقل وأما السبب الواصل من السماء الى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله عز وجل ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل فينقطع ثم يوصل فيعلو به فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت قال النبي صلى الله عليه وسلم أصبت بعضا وأخطأت بعضا قال فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت قال لا تقسم
وفيهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خطب رسول اللله صلى الله عليه وسلم الناس وقال إن الله تعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله عز وجل قال فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله عليه وسلم إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر رضي الله عنه ولو كنت متخذا خليلا عير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبا بكر رضي الله عنه وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ادعى لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر وروى أبو داود عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه قال لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده في نفر

من المسلمن دعاه بلال الى الصلاة فقال مروا من يصلي للناس فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر في الناس وكان أبو بكر غائبا فقلت يا عمر قم فصل بالناس فتقدم فكبر فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان عمر رضي الله عنه رجلا مجهرا

قال فأين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون فبعث الى أبي بكر رضي الله عنه فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس
وفي رواية قال لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت عمر رضي الله عنه قال ابن زمعة خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال صلى الله عليه وسلم
لا لا لا ليصل للناس ابن أبي قحافة
وله عن الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم من رأى منكم رؤيا قلت أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبي بكر ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورواه من طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة بمعناه ولم يذكر الكراهية قال فاستاء لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني فساءه ذلك فقال خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء

وله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وسلم ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما تنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم
وله عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله إني رأيت كأن دلوا دليت من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها شرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء وروى الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أني لأرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى وأشار إلى أبا بكر وعمر حديث حسن
عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها وسئلت من

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلفه قالت أبو بكر فقيل لها ثم من بعد أبي بكر قالت عمر قيل لها من بعد عمر قالت أبو عبيدة بن الجراح
وصفة بيعته رضي الله عنه بخلافة النبوة ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح فقام عمر يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك ولبيعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله فقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لايذيقك الله الموتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم جلس عمر رضي الله عنه فحمد الله أبو بكر واثنى عليه وقال ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال إنك ميت وإنهم ميتون الزمر 30 وقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين آل عمران 144 قال فنشج الناس يبكون قال واجتمعت الأنصار الى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا منا أمير ومنكم أمير فذهب اليهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر وكان عمر يقول والله ما رأيت بذلك إلا إني قد هيأت كلاما قد أعجبني خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه نحن الأمراء وأنتم الوزراء فقال حباب والله لا نفعل منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر لا ولكن نحن الأمراء وأنتم الوزراء إن قريشا هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا فبايعوا عمر بن الخطاب أو عبيدة بن الجراح فقال عمر بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس فقال قائل قتلتم سعد بن عبادة فقال عمر قتله الله زاد في رواية فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها

لقد خوف عمر الناس وإن فيهم النفاق فردهم الله بذلك ثم بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذي عليهم وخرجوا به يتلون وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الى الشاكرين آل عمران 144
وفيه أيضا عن عمر رضي الله عنه من خطبته الطويلة قال ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول والله لو مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ألا إنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها وليس

منكم من تقطع الأعناق اليه مثل أبي بكر من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبينا صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرين الى أبي بكر فقلت لأبي بكر يا أبا بكر انطلق بنا الى إخواننا هؤلاءمن الأنصار فأنطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم فقال أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقال لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتينا سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت من هذا فقالوا هذا سعد ابن عبادة فقلت ما له قالوا يوعك فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمهما بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسلك فكرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر والله ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهه مثلها وأفضل منها حتى سكت فقال ما ذكر فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما

شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم تضرب عنقي ولا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن تأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول الي نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن فقال قائل من الأنصار أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش فكثر اللغط وارتغعت الأصوات حتى فرقت من الإختلاف فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة فقلت قتل الله سعد بن عبادة قال عمر وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايغوا رجلا منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما نرضى وإما نخالفهم فيكون فسادا فمن بايع رجلا على غير مشورة المسلمين فلا يتابع هو والذي بايعه تغرة أن يقتلا

وروى الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه في صائفة من المدينة قال فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال فذاك أبي وأمي ما أطيبك حيا وميتا مات محمد ورب الكعبة فذكر الحديث فانطلق أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يتعادان حتى

أتوهم فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئا أنزل في الأنصار أو ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلا ذكره وقال لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا لسلكت وادي الأنصار ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم فقال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء وله بإسناد جيد عن رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوه ذات السلاسل قال وسألته عما قيل في بيعتهم فقال وهو يحدث عما تقاولت به الأنصار وما كلمهم به وما كلم به عمر بن

الخطاب رضي الله عنه الأنصار وما ذكر به من أمامتي إياهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فبايعوني لذلك وقبلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة
وروى البخاري عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر صامت لايتكلم قال كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا يريد بذلك أن يكون آخرهم فإن يك محمد قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون به هدى الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم وإن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين وإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة وكانت بيعة العامة على المنبر قال الزهري عن أنس بن مالك سمعت عمر يقول يومئذ لأبي بكر اصعد المنبر فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه عامة الناس
وقال محمد بن إسحاق حدثني الزهري حدثني أنس بن مالك قال لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر رضي الله عنه على المنبر وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس إني كنت لكم بالأمس مقالة ماكانت وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدا عهدها إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا يقول يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له وإن الله تعالى قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب

خيانة والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله عز وجل لا

يدع قوم الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا ضربهم بالذل ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله
وروى البيهقي من طريق ابن خزيمة باسناده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر قال فقام خطيب الأنصار فقال أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره فقال فقام عمر بن الخطاب فقال صدق قائلكم أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم وأخذ بيد أبي بكر وقال هذا صاحبكم فبايعوه فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار قال فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير قال فدعا بالزبير فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فبايعه ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين قال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه
وروى مسلم من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت الى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وسلم في هذا المال وإني والله لا أغير شيئا من

صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالتها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأعملن فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أبو بكر أن يدفع الى فاطمة شيئا فوجدت فاطمة على أبي

بكر في ذلك قال فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها علي وكان لعلي رضي الله عنه من الناس وجهة حياة فاطمة رضي الله عنها فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومابيعته ولم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل الى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتينا معك أحدا كراهية أن يحضر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر لأبي بكر والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عساهم أن يفعلوا بي إني والله لآتينهم فدخل عليهم رضي الله عنه فتشهد على بن أبي طالب رضي الله عنه ثم قال إنا عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نحن نرى لنا حقا لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر رضي الله عنه فلما تكلم أبو بكر رضي الله عنه قال والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق ولم أترك أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها إلا صنعته فقال علي لأبي بكر رضي الله عنهما موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر رضي الله عنه صلاة الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر اليه ثم استغفر وتشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فعظم حق أبي بكر رضي الله عنه وأنه لم يحمله على الذي صنعه نفاسة على أي بكر ولا إنكارا للذي فضله الله به ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيبا فاستبد علينا به فوجدنا في أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت فكان المسلمون الى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف

وهذا لا ينافي ما ذكر في بعته إياه حين أرسل اليه لما افتقده ليلة السقيفة أو صبحتها ولفظه لم يكن بايع تلك الأشهر إن كان من قول عائشة فلعلها لم تعلم بيعته الأولى التي أثبتها أبو سعيد وغيره لأن الرجال في مثل هذه المسألة أقوم وأعلم بها إذ لا يحضرها النساء وأيضا فقد قدمنا مرارا أن مجرد النفي لا يكون علما وعند المثبت زيادة علم انفرد بها عن النافي إذ فآية ما عند النافي أنه لا يعلم ولعل عائشة تيقنت عدم حضوره بيعة السقيفة من العشي ولم يبلغها حضوره صبحتها في البيعة العامة وإن كان هذا كلام بعض الرواة فهو بمجرد ما فهمه من البيعة الأخرى ظن أنه لم يبايع قبل ذلك مصرحا بظنه ولم يكن بايع تلك الأشهر وإنما كانت هذه البيعة بعد موت فاطمة رضي الله عنها لإزالة ما كان حصل من الوحشة والمشاجرة بسبب دعواها ويشهد لذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يفارق الصديق رضي الله عنه في وقت من الأوقات ولا ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه وكان خروجه معه الى ذي القصة حين

عقد ألوية الأمراء الأحد عشر في حياة فاطمة رضي الله عنها في الشهر الثالث من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى الدارقطني من طريق مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما برز أبوبكر الى ذي القصة واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا فرجع
ورواه زكريا الساجي من حديث عبد الوهاب ابن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف والزهري أيضا عن أبي الزناد عن هشام بن عروة

عن أبيه عن عائشة قالت خرج أبي شاهرا سيفه راكبا على راحلته الى وادي القصة فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخذ بزمام راحلته فقال الى أين يا خليفة رسول الله أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش
وفي الصحيح خروجهما الى خارج المدينة وأن أبا بكر رضي الله عنه وجد الحسن بن علي يلعب مع الصبيان فحمله وهو يقول ... بأبي شبيه بالنبي ... ليس شبيه بعلي ...
وعلي رضي الله عنه يضحك
ومن تدبر النصوص في ذلك واجماع المهاجرين والأنصار وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم ظهر له تأويل قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم
يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر
وأما فضله فقال تبارك وتعالى ثاني اثنين إذ هما في الغار التوبة 40 وقال تبارك وتعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الزمر 33 وقال وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى الليل 17 21 حكى

جماعة من المفسرين على أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه

وفي الصحيحين من حديث الهجرة الطويل فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جشعم على فرس له فقلت هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله فقال
لا تحزن إن الله معنا
وفيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال
ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما
وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم
وفي لفظ قال كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا تفاضل بينهم
وفيهما واللفظ لمسلم عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت اليه البقرة فقالت إني لم أخلق لهذا ولكني إنما خلقت

للحرث فقال الناس سبحان الله تعجبا وفزعاأبقرة تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما راع في غنمه عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه فالتفت اليه الذئب فقال له من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أؤمن بذلك أناوأبو بكر وعمر وفي رواية لهما ومن ثم أبو بكر وعمر ولمسلم وما هما ثم
وفي صحيح البخاري عن همام قال سمعت عمارا يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر
وفيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت اليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت اليك فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم إن عمر رضي الله عنه ندم فأتى منزل أبا بكر فسأل أثم أبو بكر فقالوا لا فأتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى أشفق أبو

بكر رضي الله عنه فجثا على ركبتيه فقال يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال صلى الله عليه وسلم إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت واساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين فما أوذي بعدها وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل أنتم تاركو لي صاحبي هل أنتم تاركو لي صاحبي إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فقلتم كذبت

وقال أبو بكر صدقت قال أبو عبد الله هو البخاري سبق بالخير
ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان فقال أبو بكر ما على هذا الذي يدعي من تلك الأبواب من ضرورة وقال هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله قال نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر
وفيه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت أي الناس أحب اليك
قال عائشة فقلت من الرجال فقال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا
وفيه عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت أن يقول عثمان فقلت ثم أنت قال ما أنا إلا رجل من المسلمين
وفيه عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
وفيهما عن سعيد بن المسيب قال أخبرني أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت لألزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأكونن معه يومي هذا قال فجاء المسجد فسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا خرج ووجه ههنا فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ فقمت اليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال أبو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فأقبلت حتى قلت لأبي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم وكف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد رجعت وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني فقلت إن يرد الله بفلان خيرا يريد أخاه يأت به فإذا إنسان يحرك الباب فقلت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت له ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر ثم رجعت فجلست فقلت إن يرد الله بفلان خيرا يأت به فجاء إنسان يحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فقلت له ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر قال سعيد بن المسيب فأولتها قبورهم

معارج القبول [جزء 3 - صفحة 1143]

وفيهما عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان وللترمذي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار وقال حسن صحيح
وله عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما قال فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قلت مثله وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله قلت لا اسبقه الى شيء أبدا هذا حديث حسن صحيح

ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه سلم
من أصبح منكم اليوم صائما قال أبو بكر أنا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قال فمن أطعم اليوم منكم مسكينا قال أبو بكر أنا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في أمرئ إلا دخل الجنة
والأحاديث في الصديق كثيرة جدا قد أفردت بالتصنيف وفيما ذكر كفاية في

التنبيه على ما وراءه وما أحسن ما قال ثابت رضي الله عنه ... إذا تذكرت شجوا من أخ ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا ... خير البرية أوفاها وأعدلها ... بعد النبي وأولاها بما حملا ... والتالي الثاني المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا ... عاش حميدا لأمر الله متبعا بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا ...
مواقفه العظيمة وأما ما منحه الله تعالى من المواقف العظيمة مع النبي صلى الله عليه وسلم من حين بعثته الى أن توفاه الله عز وجل من نصرته والذب عنه والشفقة عليه والدعوة الى ما دعا اليه وملازمته إياه ومواساته بنفسه وماله وتقدمه معه في كل خير فأمر لا تدرك غايته ثم لما توفى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم كان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن ولاه أمرهم بعد نبيه وجمعهم عليه بلطفه فجمع الله به شمل العرب بعد شتاته وقمع به كل عدو للدين ودمر عليه وألف له الأمة وردهم اليه بعد أن ارتد أكثرهم عن دينه وانقلب الغالب منهم على أعقابهم كافرين حتى قيل لم يبق يصلي إلا في ثلاثة مساجد الحرمين الشريفين ومسجد العلاء بن الحضرمي بالبحرين فردهم الله تعالى إلى الحق طوعا وكرها وأطفأ به كل فتنة في أقل من ستة أشهر ولله الحمد والمنة

قال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم المائدة 54 الآيات قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وقتادة هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب إلا أهل مكة

والمدينة والبحرين من عبد القيس ومنع بعضهم الزكاة وهم أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكرة ذلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال عمر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابهم على الله عز وجل فقال أبو بكر رضي الله عنه فوالله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتالتهم على منعها
قال أنس بن مالك رضي الله عنه كرهت الصحابة رضي الله عنهم قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة فتقلد أبو بكر رضي الله عنه سقفة وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج في أثره قال ابن مسعود رضي الله عنه سمعت أبا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة
وكان قد ارتد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق منهم بنو مذحج ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب العنسي ويلقب بالأسود وكان كاهنا مشعبذا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل ومن معه من

المسلمين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض لحرب الأسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه قال رضي الله عنه فأتى الخبرالنبي صلى الله عليه وسلم من السماء في الليلة التي قتل فيها فقال صلى الله عليه وسلم قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك قيل وهو من قال فيروز فاز فيروز فبشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بهلاك الأسود وقبض النبي صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعد ما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه
والفرقة الثانية بنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة الكذاب وكان قد تنبأ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر سنة عشر وزعم أنه اشترك مع محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وكتب الى رسول الله صلى الله عليه سلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك وبعث اليه رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ثم أجاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
ومرض رسول الله صلى الله عليه سولم وتوفي فبعث أبو بكر خالد بن الوليد الى مسيلمة الكذاب في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدي وحشى غلام

مطعم بن عدي الذي قتل حمزه بن عبد المطلب بعد حرب شديدة وكان وحشى يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام
والفرقة الثالثة بنو أسد ورأسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتد

وادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأول من قوتل بعد وفاة رسول الله صلى اله عليه وسلم من أهل الردة فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد وأفلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشام ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه
وارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه خلق كثير حتى كفى الله المسلمين أمرهم ونصر دينه على يدي أبي بكر رضي الله عنه قالت عائشة رضي الله عنها توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبي ما نزل لو بحبار لهاضها انتهى من تفسير البغوي رحمه الله
وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه المائدة 54 قال حسن هو والله أبو بكر وأصحابه
وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في سننة وابن عساكر عن قتادة قال الله تعالى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم المائدة 54 وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه سلم ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد أهل المدينة وأهل مكة وأهل جؤاثي من عبد القيس وقال الذين ارتدوا نصلي الصلاة ولا نزكي والله لا تغصب أموالنا فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم وقيل له إنهم لو قد فقهوا أدوا الزكاة فقال والله لا أفرق بين شيء جمعه الله عز وجل ولو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه فبعث الله عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتىأقروا بالماعون وهو الزكاة قال قتادة فكنا نتحدث أن هذه

الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه فسوف يأتي بقوم يحبهم ويحبونه المائدة 54 الى آخر الآية
ولا ينافي هذا ما ورد من أنها نزلت في أهل اليمن كما أخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه المائدة 54 الآية قال عمر رضي الله عنه أنا وقومي يا رسول الله قال لا بل هذا وقومه يعني أبا موسى الأشعري

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن الحميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن عياض الأشعري قال لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه المائدة 54 قال رسول الله هم قوم هذا وأشار الى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي وابن عساكر عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال تليت على النبي صلى الله عليه وسلم فسوف يأتي الله بقوم المائدة 54 الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم قومك يا أبا موسى الأشعري أهل اليمن

وأخرج ابن أبي حاتم في الكنىوالطبراني في الأوسط وأبو الشيخ وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فسوف يأتي الله بقوم المائدة 54 الآية فقال
هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب
وأخرج البخاري في تأريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في الآية قال هم قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون وأخرج ابن أبي شيبة عنه قال هم أهل القادسية
قلت وكان غالب أهل القادسية من أهل اليمن بل كانت بجيلة ربع الناس فضلا عن غيرهم وكان بأس الناس الذي هم فيه كما رواه ابن اسحاق عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال وكان يمر عمرو بن معد يكرب الزبيدي فيقول يا معشر المهاجرين كونوا أسودا فإنما الفارسي تيس وقد قتل رضي الله عنه أسوارا فارس الفرس وأبلى بلاء حسنا وكانت له اليد البيضاء يومئذ
وأخرج البخاري رحمه الله تعالى في تأريخه عن القاسم بن بنخسرة قال أتيت ابن عمير فرحب بي ثم تلا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه المائدة 54 الآية ثم ضرب على منكبي وقال أحلف بالله لمنكم أهل اليمن ثلاثا

وكل هذا لا ينافي ما قدمناه من نزولها في أبي بكر أولا فأن أهل اليمن لم يرتد جميع قبائلهم يومئذ وإنما ارتد كثير منهم مع الأسود وثبت كثير منهم على الإيمان مع معاذ بن جبل وأبي موسى وفيروز الديلمي وغيرهم من عمال النبي صلى الله عليه وسلم ونشب بين مؤمنهم وكافرهم قتال عظيم حتى قتل الله

الأسود على يد فيروز وأيد الله الذين آمنوا منهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ولكن لم يرجع أمرهم على ما كانوا عليه قبل العنسى إلا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فإنه لم يزل يتابع الكتائب مددا لمؤمنهم على كافرهم حتى راجعوا الإسلام وكانوا من أعظم أنصاره حتى صار رؤساء ردتهم كعمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح وغيرهم من أعظم الناس وأشدهم بلاء في أيام الردة والفتوح فحينئذ عاد المعنى الى أبي بكر وأصحابه وهم من أصحابه وكل هذا في شأن السبب لنزول الآية وإلا فهي عامة لكل مؤمن يحب الله ويحبه ويوالي فيه ويعادي فيه ولا يخاف في الله لومة لائم
وكان أبو بكر وأصحابه أسعد الناس بذلك وأقدمهم فيه وأسبقهم اليه وأول من تناولته الآية رضي الله عنه وأرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين
وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر رضي الله عنه كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق
وتفاصيل موافقه العظام رضي الله عنه مشهورة مبسوطة في كتب السيرة

وغيرها وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وكانت وفاته رضي الله عنه في يوم الاثنين عشية وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوما وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي بالمسلمين وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده الى عمر بن الخطاب وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا وكان عمر الصديق رضي الله عنه يوم توفي ثلاثا وستين سنة السن الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمع الله بينهما في التربة كما جمع بينهما في الحياة فرضى الله عنه وأرضاه ومن جميع أبواب الجنة دعاه وقد فعل ولله الحمد والمنة
خلافة الفاروق رضي الله عنه ... ثانيه في الفضل بلا ارتياب ... الصادع الناطق بالصواب ... أعني به الشهم أبا حفص عمر ... من ظاهر الدين القويم ونصر ... الصارم المنكى على الكفار ... وموسع الفتوح في الأمصار ...
ثانيه أي ثاني أبي بكر في الفضل على الناس بعده فلا أفضل منه وكذا هو ثانيه في الخلافة بالإجماع بلا ارتياب أي بلا شك الصادع بالحق المجاهر به الذي لا

يخاف في الله لومة لائم ومنه قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصدع بما تؤمر الحجر 94 فكان عمر رضي الله عنه كذلك وبه سماه النبي صلى الله عليه وسلم فاروقا الناطق بالصواب والذي وافق الوحي في أشياء قبل نزوله كما سيأتي أعني به أي بهذا النعت الشهم الذكي المتوقد السيد المطاع الحكم القوي في أمر الله الشديد في دين الله أبا حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب العدوى ثاني الخلفاء وإمام الحنفاء بعد أبي بكر رضي الله عنهما وأول من تسمى أمير المؤمنين الصارم السيف المسلول المنكى من النكاية على الكفار لشدته عليهم وإثخانه إياهم حتى إن كان شيطانه ليخافه أن يأمره بمعصية كما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وموسع من الاتساع الفتوح فتوح الإسلام

في الأمصار فكمل فتوح بلاد الروم بعد اليرموك ثم بلاد فارس حتى مزق الله به ملكهم كل ممزق ثم أوغل في بلاد الترك كما هو مبسوط في كتب السير وغيرها
تقدمت إشارات النصوص النبوية الى خلافته قريبا مع ذكر أبي بكر رضي الله عنه وكثير من فضائله أيضا التي شارك فيها أبا بكر وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشخشة فقلت من هذا فقال هذا بلال ورأيت قصرا بفنائه جارية فقلت لمن هذا فقال لعمر فأردت أن أدخله فأنظر اليه فذكرت غيرتك فقال عمر بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال
بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر فقالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبرا فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله
وعن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بينا أنا نائم إذ رأيت به فيه لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري ثم أعطيت فصلى عمر بن الخطاب قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله قال العلم

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجتره قالوا فما أولته يا رسول الله قال
الدين
وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته صلى الله عليه وسلم فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله فقال عمر يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم قال إنما خيرني الله أو أخبرني الله فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم التوبة 80 فقال سأزيده على سبعين قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا معه ثم أنزل الله عليه ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون التوبة 84 متفق على جميعها
وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لما مات عبد الله بن أبي ابن السلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت

اليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا كذا وكذا قال اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الى قوله وهم فاسقون التوبة 84 قال فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم
وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رصب الله عنه في قصة أسارى بدر بطوله قال ابن عباس فلما أسروا الأساري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر
ما ترون في هؤلاء الأساري فقال أبو بكر هم يا نبي الله بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ترى يا ابن الخطاب قلت لاوالله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكنني من فلان نسبيا لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أتمه الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله صلى اله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبكي للذي عرض علي في أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض الى قوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الأنفال 67 69 فأحل الله الغنيمة لهم
وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه وافقت الله في ثلاث أو وافقني الله في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى البقرة 125 وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب قال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن قلت إن أنتهيتن أو ليبدلن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خيرا منكن حتى أتيت إحدى نسائه قالت يا عمر ما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل الله تعالى وعسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات التحريم

وعنه رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة - 5 فقال متى الساعة قال
وماذا أعددت لها قال للا شيء إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا بشيء كما فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم
وعن ابن عمر رضي الله عنه قال ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قبض كان أجد وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وعن المسور بن مخرمة قال لما طعن عمر رضي الله عنه جعل يألم فقال ابن عباس رضي الله عنهما وكأنه يجزعه يا أمير المؤمنين ولئن كان ذلك لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون قال أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فإنما ذاك من الله تعالى من به تعالى علي وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذلك من الله عز وجل ذكره من به علي وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك والله لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه
وفيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي فإذا علي رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الى أن ألقي الله بمثل عمله منك وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله تعالى مع

صاحبيك وحسبك إني كنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول كثيرا ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر زاد مسلم في آخره أيضا فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما
والأحاديث في فضله كثيرة جدا قد أفردت بالتصنيف وفيما ذكرناه كفاية

قصة استشهاد الفاروق رضي الله عنه

وكان قصة استشهاده ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى قال حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عمرو بن ميمون قال رأيت عمر بن

الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف علي حذيفه بن اليمان وعثمان بن حنيف وقال كيف فعلتما أتخافان أن تكون قد حملتما الأرض مالا تطيق قالا حملناها أمرا هي له مطيقة ما فيها كبير فضل قال انظرا أن تكونا حملتما الأرض ملا تطيق قالا لا فقال عمر لئن سلمني الله تعالى لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن الى رجل بعدي أبدا قال فما أتت عليه رابعة حتى أصيب رضي الله عنه قال إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال استووا حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأول حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر حتى سمعته يقول قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فلا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر رضي الله عنه وهم يقولون سبحان الله سبحان الله فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة فلما

انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة فقال الصنع قال قاتله الله لقد أمرت به معروفا الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام فقد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكثرهم رقيقا فقال إن شئت فعلت أي إن شئت قتلنا قال كذبت بعدما تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول لا بأس وقائل يقول أخاف عليه فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه فعلموا أنه ميت فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال ردوا علي الغلام قال ابن اخي ارفع ثوبك إنه أبقى لثوبك وأتقى لربك يا عبد الله بن عمر أنظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه قال إن وفى له مال آل عمر فأداه من أموالهم وإلا فسل بني عدي بن كعب فإن لن تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم فأد عني هذا المال وانطلق الى عائشة فقل يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده

لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء قال ارفعوني فأسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين أذنت قال الحمد لله ما كان من شيء أهم الى من ذلك فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردوني الى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها والنساء تسير معها فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلا

لهم فسمعنا بكاءها من الداخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين استخلف قال ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال ليشهدكم عبد الله بن عمر وليس من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك وإلا فليستعن به أيكم ما أمر فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة وقال أوصى الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصارخيرا الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم وأوصية بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالأعراب خيرا فأنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم وترد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن عمر قال يستأذن عمر بن الخطاب قالت أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمري الى علي فقال طلحة قد جعلت أمري الى عثمان وقال سعد قد جعلت أمري الى عبد الرحمن بن عوف فقال عبد الرحمن أيكما تبرأ من هذا الأمر فلنجعله اليه والله عليه والإ سلام لينظرن أفضلهم في نفسه فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن أفتجعلونه الي والله على أن لا آلو عن أفضلكم قالا نعم فأخذ بيد أحدهما فقال لك من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال ارفع يدك يا عثمان فبايعه وبايع له علي رضي الله عنه وولج أهل الدار فبايعوه رضي الله عنهم أجمعين

وكانت مذة خلافة الفاروق رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وكانت وفاته على المشهور لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وله من العمر ثلاث وستون سنة على الأشهر وهي السن التي توفي لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وبويع لعثمان في ثلاث من المحرم دخول سنة أربع وعشرين وأول من بايعه عبد الرحمن بن عوف ثم علي بن أبي طالب ثم بقيه أصحاب الشورى ثم بقية أهل الدار ثم بقيه المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين

خلافة عثمان رضي الله عنه

ثالثهم عثمان ذو النورين ... ذو الحلم والحيا بغير مين ... بحر العلوم جامع ... القرآن ... منه استحت ملائك الرحمن ... بايع عنه سيد الأكوان ... بكفه في بيعة الرضوان ...

ثالثهم في الخلافة والفضل كما في حديث ابن عمر السابق عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف من السابقين الأولين الى الإسلام بدعوة الصديق إياه وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية ابنته رضي الله عنها وهاجر الهجرتين وهي معه وتخلف عن بدر لمرضها وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره وبعد وفاتها زوجه النبي صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها وبذلك تسمى ذو النورين لأنه تزوج ابنتي نبي واحدة بعد واحدة ولم يتفق ذلك لغير رضي الله عنه

ذا الحلم التام الذي لم يدركه غيره والحياء الايماني الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم الحياء شعبة من الإيمان وقال أشدكم حياء عثمان بحر العلوم

الفهم التام في كتاب الله تعالى حتى إن كان ليقوم به في ركعة واحدة فلا يركع إلا في خاتمتها إلا ما كان من سجود القرآن

جامع القرآن لما خشي الاختلاف في القرآن والخصام فيه في أثناء خلافته رضي الله عنه فجمع الناس على قراءة واحدة وكتب المصحف على القراءة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر سني حياته

وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في الغزوات وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسى وجعل من لا يعلم بجواز القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره وربما خطأه الآخر أو كفره فأدى ذلك الى خلاف شديد وانتشار الكلام السيء بين

الناس فركب حذيفة الى عثمان فقال يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابهاكاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة فعند ذلك جمع الصحابة وشاورهم في ذلك ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة به دون ما سواه لما رأى في ذلك ممن مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف فاستدعى بالصحف التي كان أمر زيد بن ثابت بجمعها فكانت عند الصديق أيام حياته ثم كانت عند عمر فلما توفي صارت الى حفصة أم المؤمنين فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن

ابن الحارث بن هشام المخزومي وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش فكتب لأهل الشام مصحفا ولأهل مصر آخر وبعث الى البصرة مصحفا والى الكوفة بآخر وأرسل الى مكة مصحفا والى اليمن مثله وأقر بالمدينة مصحفا ويقال لهذه المصاحف الأئمة ثم عمد الى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه لئلا يقع بسببه اختلاف
وروى أبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي داود السجستاني عن سويد بن غفلة قال قال لي علي رضي الله عنه حين حرق عثمان المصاحف لو لم يصنعه هو لصنعته
وروى البيهقي عنه رضي الله عنه قال قال علي رضي الله عنه أيها الناس إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو وليت مثل ما ولى لفعلت الذي فعل
منه استحت ملائك الرحمن كما في الصحيح عن عطاء وسليمان بن يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا في بيتي كاشفا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه قال محمد يعني ابن أبي حرملة الراوي عنهم ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث فلما خرج قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش له ودخل عمر ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة

وعن سعيد بن العاص أن عائشة رضي الله عنها وعثمان رضي الله عنه حدثاه أن أبا بكر رضي الله عنه استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى اليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى اليه حاجته ثم انصرف قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت فقالت عائشة يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ الي في حاجته
بايع عنه حين ذهب لمكة في حاجة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين سيد الأكوان محمد رسول الله صلى الله عليه سلم بكفه ضرب بها على الأخرى وقال هذه لعثمان في بيعة الرضوان لما غاب عنها فيما ذكرنا وكان انحباسه بمكة هو سبب البيعة كما قال محمدبن اسحاق بن يسار في السيرة ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه الى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقال لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان رضي الله عنه قد قتل قال ابن اسحاق

فحدثني عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان رضي الله عنه قد قتل لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع الناس

ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول والله لكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته قد مال إليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي كان من أمر عثمان باطل
وفي الصحيحين عن عثمان بن موهب قال جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال من هؤلاء القوم قالوا هؤلاء قريش قال فمن الشيخ فيهم قالوا عبد الله بن عمر قال يا بن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني عنه هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد قال نعم قال هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد قال نعم قال هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال نعم قال الله أكبر قال ابن عمر تعال أبين لك أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فكانت بيعه الرضوان بعدما ذهب عثمان الى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان فقال له ابن عمر رضي الله عنه اذهب بها الآن معك

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة فبايع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه خيرا من أيديهم لأنفسهم ورواه الترمذي وقال حسن صحيح
وفي الصحيحين عن عروة أن عبد الله بن عدي بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا ما منعك أن تكلم عثمان لأخيك الوليد فقد أكثر الناس فيه فقصدت لعثمان حتى خرج الى الصلاة قلت إن لي إليك حاجة وهي نصيحة لك قال يا أيها المرء أعوذ بالله منك فانصرفت فرجعت اليهم إذ جاء رسول عثمان فأتيته فقال ما نصيحتك فقلت إن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت هدية وقد أكثر الناس في شأن الوليد قال أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لا ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص الى العذراء في سترها قال أما بعد فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله صلى

الله عليه وسلم وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين كما قلت وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعته فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله ثم استخلفت أفليس لي من الحق مثل الذي لهم قلت بلى قال فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم أما ما ذكرت من شأن الوليد فسآخذ فيه بالحق إن شاء الله ثم دعا عليا فأمره أن يجلده فجلده ثمانين

وفي المسند والسنن عن عمرو بن جاوان قال قال الأحنف انطلقنا حجاجا فمررنا بالمدينة فبينا نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال الناس في المسجد فانطلقت أنا وصاحبي فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد قال فتخللتهم حتى قمت عليهم فإذا علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص قال فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي فقال ههنا علي قالوا نعم قال ههنا الزبير قالوا نعم قال ههنا طلحة قالوا نعم قال ههنا سعد بن أبي وقاص قالوا نعم قال أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له فابتعته فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إني قد ابتعته فقال اجعله في مسجدنا وأجره لك قالوا نعم قال أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتاع بئر رومه فابتعتها بكذا وكذا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إني قد ابتعتها يعني بئر رومه قال اجعلها سقاية للمسلمين ولك أجرها قالوا نعم قال أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال من يجهز هؤلاء غفر الله له فجهزتهم حتى ما يفقدون خطاما ولا عقالا قالوا اللهم نعم فقال اللهم أشهد اللهم أشهد اللهم أشهد ثم انصرف رضي الله عنه

وروى أحمد والترمذي والنسائي عن ثمامة بن جزء القشيري قال شهدت الدار يوم أصيب عثمان فاطلع عليه اطلاعه فقال ادعو لي صاحبيكم اللذين ألباكم علي فدعيا له فقال أنشدكما الله تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون كالمسلمين وله خير منها في الجنة فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين وأنتم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين ثم قال أنشدكم الله أتعلمون

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن فيها غير بئر يستعذب منه إلابئر رومة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين وله خير منها في الجنة فاشتريتها من خالص مالي وأنتم تمنعوني أن أشرب منها ثم قال هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة قالوا اللهم نعم وقال الترمذي حسن
وله عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان بن عفان فقال يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على جيش فقام عثمان فقال يا رسول الله على مائتي بعير بأحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال على ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل من على المنبر وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذا ما على عثمان ما عمل بعد هذا
وله عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجرة فقال عبد الرحمن فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجرة ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين حسنه الترمذي
وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف في

قصة توعدهم إياه بالقتل قال ولم يقتلونني فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل كفر بعد إسلامه أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفسا بغير نفس فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام قط ولا تمنيت بدلا بديني منذ هداني الله له ولا قتلت نفسا فبم يقتلونني
وروى الإمام أحمد وغيره عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأينا إقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلمة أن ضرب على منكبه وقال يا عثمان أن الله تعالى عسى أن يلبسك قميصا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ثلاثا
وروى أحمد وقال حسن غريب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة
فقال يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما فنظرنا فإذا هو عثمان بن عفان
وروى أحمد بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إني سمعت رسول الله صلىالله عليه وسلم يقول
إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافا أو قال اختلافا وفتنة فقال قائل من الناس فمن

لنا يا رسول الله قال عليكم بالأمين وأصحابه وهو يشير الى عثمان بذلك

وله عن مرةالبهزي قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة قال
كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي البقر قالوا نصنع ماذا يا رسول الله قال عليكم هذا وأصحابه أو اتبعوا هذا وأصحابه قال
فأسرعت حتى عييت فأدركت الرجل فقلت هذا يا رسول الله قال هذافإذا هو عثمان بن عفان فقال هذا وأصحابه يذكره
وروى الترمذي في جامعه عنه رضي الله عنه قال لولا حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تكلمت وذكر الفتن فقربها فمر رجل متقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فإذا هو عثمان بن عفان فأقبلت عليه بوجهه فقلت هذا قال نعم ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح
وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة وروى أحمد وابن ماجه وغيرهما عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها وعظمها قال ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال هذا يومئذ على الحق قال فانطلقت مسرعا أو محضرا وأخذت بضبعيه فقلت هذا يا رسول الله قال هذا
وروى أبو داود الطيالسي بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة

يبايع الناس قال فهجمنا على عثمان بن عفان معتجرا يبايع الناس وقد تقدم من الأحاديث التي تشير الى خلافته وأشياء من فضائله مع ذكر صاحبيه رضي الله عنهما وفي فضائله منفردا ومع غيره من السابقين أحاديث كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية
وكان الأعتداء على حياته رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا أثني عشر يوما لأنه بويع له في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين وأما عمره رضي الله عنه فإنه قد جاوز ثنتين وثمانين سنة والله أعلم
خلافة علي رضي الله عنه ... والرابع ابن عم خير الرسل ... أعني الإمام الحق

ذا القدر العلي ... مبيد كل خارجي مارق ... وكل خب رافضي فاسق ... من كان للرسول في مكان ... هارون من موسى بلا نكران ... ولا في نبوة فقد ... قدمت ما ... يكفي لمن من سوء ظن سلما
والرابع في الفضل والخلافة ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم خير الرسل أكرمهم على الله عز وجل أعني بذلك الإمام الحق بالإجماع بلا مدافعة ولا ممانعة ذا صاحب القدر العلي الرفيع وهو أمير المؤمنين أبو السبطين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه
وأرضاه كان أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم أخا شقيقا لأبيه عبد الله وأمه فاطمة بنت عمرو كفل أبو طالب رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد موت جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ولما بعث آواه الله تعالى به وحماه وهو مع ذلك على دين قومه ولله في ذلك حكمة وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية عمه كل الحرص ولم يكن ذلك حتى

خرجت روحه وهو يقول على ملة عبد المطلب وأنزل الله تعالى في ذلك تعزية لنبيه صلى الله عليه وسلم إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء القصص 56 وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فنهاه الله تعالى عن الاستغفار له بقوله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم التوبة 113 الآيات
وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه قال يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال
نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وفي لفظ وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح
وفيه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه
وفيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه
وكفل النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه وهو صغير فلما بعث آمن به وهو ابن ثمان سنين وهو أول من آمن من الصبيان كما أن أبا بكر أول من آمن به من

الرجال وخديجة رضي الله عنها أول من آمن به من النساء وورقة بن نوفل رضي الله عنه أول من آمن من الشيوخ وزيد بن حارثة رضي الله عنه أول من آمن به من الموالي وبلال رضي الله عنه أول من آمن به من الأرقاء صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين
وكان علي رضي الله عنه صاحب دعوة قريش حين نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الأقربين الشعراء 214 فأمر عليا أن يدعوهم له فيجتمعون للنذارة وهو الذي فاداه بنفسه فنام على فراشه ليلة مكر المشركين كما قدمنا في حديث الهجرة وهو الذي أدى الأمانات عنه بعدها وهو الذي برز مع حمزة وعبيدة لخصمائهم يوم بدر وكان يقول أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة
وشهد مع الرسول صلى الله عليه سلم المشاهد كلها إلا تبوك على ما يأتي وهو صاحب عمرو بن ود وخيله يوم الخندق وفتح الله على يديه يوم خيبر بعد قتل فارسهم مرحب وكان مع حماة النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد
وكان صاحب النداء بسورة براءة تبليغا عن الرسول صلي الله عليه وسلم في الموسم وشريكه في هديه في حجة الوداع وخليفته في أهله في غزوة تبوك وصاحب تجهيزه حين توفي مع جماعة من أهل البيت رضي الله عنهم وقد ثبت له في الأحاديث الصحاح والحسان من الفضائل الجمة ما فيه كفاية وغنية عن تلفيق الرافضة وخرطهم وكذبهم عليه وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولهم عليه ما لم يقل قبحهم الله
مبيد أي مدمر كل خارجي نسبة الى الخروج من الطاعة ولكن صار هذا الاسم علما على الحرورية الذين كفرواأهل القبلة والمعاصي وحكموا بتخليد هم في النار بذلك واستحلوا دماءهم وأموالهم حتى الصحابة من السابقين الأولين من أهل بدر وغيرهم حتى علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر

وخباب وأقرانهم رضي الله عنهم ثم صار هذا الاسم عاما لكل من اتبع مذهبهم الفاسد وسلك طريقهم الخائبة وكل ذنب يكفرون به المؤمنين فهو تكفير لأنفسهم من وجوه عديدة وهم لا يشعرون
فمنها أن تكفير المؤمن إن لم يكن كذلك كفر فاعله كما في الحديث
أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء لها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه
ومنها أن من أكبر الكبائر التي يكفرون بها المؤمنين قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وهم أسرع الناس في ذلك يقتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان
ومنها أن المؤمن وإن عمل المعاصي فهو لا يستحلها وإنما يقع فيها لغلبة نفسه إياه وتسويل شيطانه له وهو مقر بتحريمها وبما يترتب عليه من الحدود

الشرعية فيما ارتكبه وهم يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ويأخذون الأموال التي حرم الله أخذها إلا بالحق ويفعلون الأفاعيل القبيحة مستحلين لها والذي يعمل الكبيرةمستحلا لها أولى بالكفر ممن يعملها مقرا بتحريمها بل لا مخالف في ذلك إذ هو تكذيب بالكتاب وبماأرسل الله تعالى به رسله عليهم السلام وإنما توقف الصحابة عن تكفير أهل النهروان لأنهم كانوا يتأولون فحكموا أنهم بغاة
مارق اسم فاعل من المروق وهو الخروج من جانب غير مقصود الخروج منه وسمى الخوارج مارقةلقول النبي صلى الله عليه وسلم فيهم
يمرقون من الذين كما يمرق السهم من الرميةوقوله تمرق مارقة الحديث ففي الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أتى رجل

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجعرانة منصرفة من حنين وفي ثوب بلال فضة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض منها ويعطي الناس فقال يا محمد اعدل قال ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية
وفيه عن أبي سعيد في قصة الذهبية فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتئ الجبين محلوق الرأس فقال اتق الله يا محمد قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله إن عصيته أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني قال ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن من ضئضئ هذا قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد وفي لفظ ثمود وفي لفظ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه قال رسول الله صلى الله عليه سلم
دعه فإن أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميه ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى نصيبه فلا يوجد فيه شيء وهو القدح ثم ينظر الى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد فأشهد أني سمعت

هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك فالتمس فوجد فأتى به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلىالله عليه وسلم الذي نعت
وفيه عنه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوما يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال هم شر الخلق أو من أشر الخلق يقتلهم أدنى الطائفتين الى الحق قال فضرب النبي صلى الله عليه وسلم لهم مثلا أو قال قولا الرجل يرمي الرمية أو قال الفوق فينظر في النصل فلا يرى بصيرة وينظر في النضي فلا يرى بصيرة وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة قال قال أبو سعيد وأنتم قتلتموهم ياأهل العراق
وفيه عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرق مارقة عند فرقةمن المسلمين يقتلهاأولى الطائفتين بالحق
وفي رواية يكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولادهم بالحق
وفي لفظ قال قال صلى الله عليه وسلم
تمرق مارقة في فرقة من الناس فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق
وفي رواية يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق
وفيه عن سويد بن غفلة قال قال علي رضي الله عنه إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أقول عليه ما لم يقل وإذا

حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
سيخرج في آخر الزمان قوم أحدث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة
وفيه عن عبيدةرضي الله عنه قال ذكر الخوارج فقال فيهم رجل مخدج اليد أو مودن اليد أو مودون اليد لولا أن تطروا لحدثتكم بما وعد الله تعالى الذين يقتلونهم على لسان محمد صلىالله عليه وسلم قال قلت أنت سمعت من محمد صلى الله عليه وسلم قال إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة وفيه عن زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي

رضي الله عنه الذين ساروا الى الخوارج فقال علي رضي الله عنه أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرأون القرآن يحسبونه أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم لا تكلوا عن العمل وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض فتذهبون المعاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاءالقوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغار في سرح الناس فسيروا على اسم الله قال سلمة بن كهيل فنزلني زيد بن وهب منزلا حتى مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج

يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي فقال لهم ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أنا يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم قال وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان قال علي رضي الله عنه التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجدوه فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض قال أخروهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال صدق الله وبلغ رسوله قال فقام اليه عبيدةالسلماني فقال يا أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له وفيه عن عبيد بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا لا حكم إلا لله قال علي كلمة حق أريد بها باطل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لنا وإني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم ولا يجوز هذا منهم وأشار الىحلقه من أبغض خلق الله اليه منهم أسود إحدى يديه طبي شاة أو حلمة ثدي فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئا فقال ارجعوا فوالله ماكذبت ولاكذبت مرتين أو ثلاثا ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه قال عبدالله وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي رضي الله عنه فيهم

وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بعدي من أمتي قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه هم شر الخلق والخليقة ومثله عن رافع بن عمر الغفاري رضي الله عنه

وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحبون القتل ويسيئون الفعل يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون الى كتاب الله ليسوامنه في شيء من قاتلهم كان أولى بالله منهم قالوا يا رسول الله ماسيماهم قال التحليق
وله عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيماهم التحليق والتسبيد فإذا رأيتموهم فأيتموهم قال أبو داود التسبيد استئصال الشعر
والأحاديث في ذم الخوارج والأمر بقتالهم والثناء على مقاتليهم كثيرة جدا وفيما ذكرناه كفاية
و مبيد كل خب رافضي فاسق الخب الخداع الخائن والرافضي نسبة الى الرفض وهو الترك بازدراء واستهانة سموا بذلك لرفضهم الشيخين أبي بكر وعمررضي الله عنهما وزعموا أنهما ظلما عليا واغتصبوه الخلافة ومنعوا فاطمة رضي الله عنها فدك وبذلك يحطون عليهما ثم على عائشة ثم على غيرها من الصحابة
وهم أقسام كثيرة لا كثرهم الله تعالى أعظمهم غلوا وأسوأهم قولا وأخبثهم اعتقادا بل وأخبث من اليهود والنصارى هم السبيئة أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي قبحه الله كانوا يعتقدون في علي رضي الله عنه الإلهية كما يعتقد النصارى في عيسى عليه السلام وهم الذين أحرقهم علي رضي الله عنه بالنار وأنكر ذلك عليه ابن عباس كما في صحيح البخاري والمسند وأبي داودوالترمذي والنسائي

عن عكرمة رضي الله عنه قال أتى على رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه حكى عن أبي المظفر الاسفريني في الملل والنحل أن الذين أحرقهم علي رضي الله عنه طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبئية وكان كبيرهم عبدالله بن سبأ يهوديا ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه

المقالةوتفصيل ذلك ما ذكره في الفتح من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال قيل لعلي رضي الله عنه إن هنا قوم على باب المسجد يزعمون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ما تقولون قالوا أنت ربنا وخالقنا ورازقنا قال ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل ا لطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون إن أطعت الله أثابني إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبني فاتقوا الله وارجعوا فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام فقال أدخلهم فقالوا كذلك فلما كان الثالث قال لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبد قتلة فأبوا إلا ذلك فأمر علي رضي الله عنه أن يخد لهم أخدود بين المسجد والقصر وأمر بالحطب أن يطرح في الأخدود ويضرم بالنار ثم قال لهم إني طارحكم فيها أو ترجعوا فأبوا أن يرجعوا فقدف بهم حتى إذا احترقوا قال ... ... إني إذارأيت أمرا منكرا ... أوقدت ناري ودعوت قنبرا
قال الحافظ ابن حجر إسناده صحيح

ومنهم طائفة يعتقدون أن لا إله إلا على وهم النصيرية الذين يقول شاعرهم الملعون قبحه الله ... أشهد ألا إله إلا ... حيدرة الأذرع البطين ... ولا سبيل إليه ... إلا ... محمد الصادق الأمين ... ولا حجاب عليه إلا ... سلمان ذو القوة المتين
منهم من يدعي فيه الرسالة وأن جبريل خانها فنزل بها على محمد صلى الله عليه وسلم
ومنهم من يدعي فيه العصمة ويرى خلافة أبي بكر وعمر وعثمان باطلة ويشتمون طلحة والزبير وعائشة ويرمونها بما رماها به ابن سلول قبحهم الله
ومنهم من يدعي أنه رفع الى السماء كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى وهم أصحاب الرجعة
ومنهم من يدعي أنه وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمته وأنه عهد اليه ما يعهده الى غيره وبلغه ما كتمه الناس وغير ذلك من فرقهم الضالة وشيعهم الخاطئة
وأما الزيدية الذين يدعون أنهم أصحاب زيد بن علي وأتباعه فهؤلاء لا يشتمون الشيخين ولا عائشة ولا سائر العشرة ولكنهم يفضلون عليا رضي الله عنه ويقدمونه في الخلافة ثم أبو بكر ثم عمر ثم يسكتون عن عثمان رضي الله عنه ويحطون على معاوية غفر الله له
هذا الذي وقفنا في بعض رسائلهم ثم رأيت في بعضها السكوت عن

أبي بكر وعمر فلا يذكرونهما بخير ولا شر ولا بخلافة ولا غيرها ثم يحصرون الخلافة في علي رضي الله عنه وذريته ففرقة تدعي عصمتهم وأخرى لا تدعي ذلك والمقصود أنهم فرق كثيرة متفاوتون في أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم واخفهم بدعة الزيدية
هذا في شأن البيت طهرهم الله تعالى وأما في مسألة الصفات والقرآن والقدر والوعد والوعيد وسائر المعتقدات فقد دهى كل فرقة منهم ما دهي غيرهم من الناس ولكن المشهور من غالبهم الاعتزال واعتمادهم كتب العلاف والجبائي وأشباهه والزيدية عمدتهم في تفسير القران كشاف الزمخشري وقد شحنه بقول القدرية والمعتزلة وهم أخف وأهون ممن يكفر بكثير من القرآن بالكلية نعوذ بالله ومحل بسط مقالاتهم وفرق ضلالاتهم كتب المقالات
هذا وقد قال علي رضي الله عنه في تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ما قدمناه في الصحيح وفي كتاب السنة عن علقمة في خطبة علي رضي الله عنه على منبر الكوفة ألا إنه بلغني أن قوما يفضلونني على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ولكن أكره العقوبة قبل التقدم من قال شيئا من ذلك فهو مفتر عليه ما على المفتري وخير الناس كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم أحدثنا بعدهم أحداثا يقضي الله فيها ما شاء
وهذا الكلام مشهور عنه من طرق لا تحصى لأنه رضي الله عنه وكرم الله وجهه كان يجهر به ويظهره في المحافل وعلى المنابر ويذم الرافضة كثيرا وقد جلد من قيل له إنه تكلم في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جلده مائة وكان من أشد الناس على الرافضة وأسطاهم بهم رضي الله عنه

من كان بمعنى صار للرسول أي منزلة هارون من موسى عليهما السلام في الاستخلاف فموسى استخلف هارون في مدة الميعاد ومحمد صلى الله عليهوسلم استخلف عليا في غزوة تبوك ففي الصحيحين عن ابراهيم بن سعد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلي رضي الله عنه أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى
وفيها من رواية مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى تبوك واستخلف عليا رضي الله عنه فقال أتخلفني في الصبيان والنساء قال
ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس يبنى بعدي هذا الاستثناء يزيل الإشكال من الرواية الاولى ويخصص عموم المنزلة بخصوص الأخوة والاستخلاف في أهله فقط لا في النبوةكمشاركة هارون لموسى فيها إذ يقول الله تعالى لموسى أشدد به أزري وأشركه في أمري طه 31 وقال لهما فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين الشعراء 16 ولهذا قلنا في المتن لا

في نبوة لمنزلة هارون من موسى فيها فلا تتوهم ذلك من اقتصاري على الرواية الأولى فقد قدمت في فصل النبوة ما يكفي في هذا الباب لمن من سوء ظن بأخيه المسلم سلما وهو قولي ... وكل من من بعده قد ادعى ... نبوة فكاذب فيما ادعى ...
وما بعده
وفي الصحيحين في تفسير قول الله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم الحج 19 عن قيس بن عدي عن أبي ذر رضي الله عنه إنه كان يقسم فيها أن هذه الآية نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه برزوا في يوم بدر

وفيهما عنه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم الحج 19 قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
وفيهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها فلما فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فأرسلوا اليه فأتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال عليه الصلاة والسلام انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم وعن سلمة بن الأكوع نحوه مختصرا ونحوه عند مسلم أيضا وفيهما عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أن رجلا جاء الى سهل بن سعد فقال هذا فلان لأمير المدينة يدعو عليا عند المنبر قال ماذا يقول له قال يقول أبو تراب فضحك وقال والله ما سماه إلا النبي صلى الله عليه وسلم وما كان له اسم أحب اليه منه فاستطعمت الحليب سهلا وقلت يا أبا العباس كيف قال دخل علي رضي الله

عنه على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد فقال النبي صلى الله عليه

وسلم أين ابن عمك قالت في المسجد فخرج اليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص الى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول اجلس يا أبا تراب مرتين
وفي رواية مسلم عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا قال فأبي سهل فقال له أما إذا أبيت فقل لعن الله أبا اراب فقال سهل ما كان لعلي اسم أحب اليه من أبي تراب وإن كان ليفرح إذا دعي به فقال له أخبرنا عن قصته أسمى أبا تراب فذكره
وفي صحيح البخاري عن سعيد بن عبيدة قال جاء رجل الى ابن عمر رضي الله عنهما فسأله عن عثمان فذكر من محاسن عمله لعل ذلك يسؤوك قال نعم قال فأرغم الله بأنفك ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله وقال هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال لعل ذاك يسؤوك قال أجل قال فأرغم الله بأنفك انطلق وأجهد على جهدك وفيهما عن ابن أبي ليلى قال حدثنا علي رضي الله عنه أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى فأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبي فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة رضي الله عنها فأخبرتها فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعا وثلاثين وتسبحان ثلاثا

وثلاثين وتحمدان ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم
وفي البخاري عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي رضي الله عنه قال اقضوا كما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى عن علي رضي الله عنه الكذب
قلت وأكثر ما يكذب على علي رضي الله عنه الرافضة الذين يدعون مشايعته ونشر فضائله ومثالب غيره من الصحابة فيسندون ذلك إليه رضي الله عنه وهو بريء منهم وهم أعدى عدو له
وفي الصحيحين من طرق عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار
وفي فضائله رضي الله عنه من الأحاديث الصحاح ما يغني عن أكاذيب الرافضة وهم يجهلون غالب ما له من الفضائل فيها
وفي صحيح مسلم عن عامر بن سعيد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال ما منعك أن تسب أبا تراب فقال أما

ما ذكرت فثلاث قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له وقد خلفه في مغازيه فقال له علي رضي الله عنه يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول اله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله قال فتطاولنا لها قال

ادعوا لي عليا فأتى به أرمد فبصق في عينيه ودفع إليه الراية ليلة فتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم آل عمران 61 دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي وفي صحيح مسلم عن زر قال قال علي رضي الله عنه والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق
والأحاديث في فضله كثيرة جداو قد تقدم الحديث في الإشارة إلى خلافته رضي الله عنه في رؤيال الرجل الصالح الدلو التى شرب منها أبو بكر وعمر وعثمان ثم جاء علي وأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء وكان تأويل ذلك ما أصابه رضي الله عنه من اختلاف الناس عليه والفتن الهائلة والدماء المهرقة والأمور الصعاب والأسلحة المسلولة بين المسلمين بسبب السبئية ومن وافقهم من أهل الأمصار على قتل عثمان وكان غالبهم منافقين وقليل منهم من أبناء الصحابة مغرورون فحصل من ذلك في يوم الجمل وصفين وغيرهما وقائع يطول ذكرها
فأما وقعة الجمل فكانت بحمص فعل السبئية قبحهم الله تعالى ليس باختيار علي رضي الله عنه ولا طلحة ولا الزبير ولا أم المؤمنين رضي الله عنهم بل بات الفريقان متصالحين بخير ليلة فتواطأ أهل الفتنة وتمالؤا على أن يفرقوا بين الفريقين وينشبوا الحرب بين الفئتين من الغلس فثار الناس من نومهم الى السلاح فلم يشعر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالرؤوس تندر والمعاصم تتطاير ما يدرون ما الأمر حتى عقر الجمل وانكشف الحال عن عشرة آلاف قتيل فإنا لله وإنا اليه راجعون

وإنما أنشب أهل الفتنة الحرب بين الفريقين لعلمهم أنهما إن تصالحا دارت الدائرة عليهم وأخذوا بدم عثمان وأقيم عليهم كتاب فقالوا نشغلهم بأنفسهم

وكان أمر الله قدرا مقدورا
وأما في قتاله أهل الشام فكانوا هم مع معاوية وكان هو رضي الله عنه متأولا يطلب بدم عثمان ويرى أنه وليه وإن قتلته في جيش علي فكان معذورا في خطئه بذلك وأما علي رضي الله عنه فكان مجتهدا مصيبا وفالجا محقا يريد جمع كلمة الأمة حتى إذا كانوا جماعة وخمدت الفتن وطفئت نارها أخذ بالحق من قتلة عثمان وكان رضي الله عنه أعلم بكتاب الله من المطالبين بدم عثمان وكان السبئية يخافونه أعظم من خصمائه وذلك الذي حملهم على ما فعلوه يوم الجمل فكان أهل الشام بغاة اجتهدوا فأخطئوا وعلي رضي الله عنه يقاتلهم ليرجعوا الى الحق ويفيئوا الى أمر الله ولهذا كان أهل بدر الموجودون على وجه الأرض كلهم في جيشه وعمار قتل معه رضي الله عنه كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد في بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه
ويقول ويح عمارا تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن
فقتله أهل الشام مصداق ما أخبرهم به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم إلى الجماعة والائتلاف وإلى طاعة الإمام التى هى من أسباب دخول الجنة ويدعونه الى الفتنة والفرقة التي هي من أسباب دخول النار وكان علي رضي الله عنه أسعد منهم وأولاهم بالحق لقتله الخوارج بالنهروان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم تقتلهم أولى الطائفتين بالحق كما قدمنا
وفي سنن أبي داود عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بعثني عمر الى الأسقف فدعوته فقال له عمر وهل تجدني في الكتاب قال

نعم قال كيف تجدني قال أجدك قرنا فرفع عليه الدرة فقال قرن مة فقال قرن حديد أمين شديد قال كيف تجد الذي يجيء من بعدي فقال أجده خليفة صالحا غير أنه يؤثر قرابته قال عمر يرحم الله عثمان ثلاثا فقال كيف تجد الذي بعده قال أجده صدأ حديد فوضع يده على رأسة فقال يا دفراه دفراه فقال يا أمير المؤمنين إنه خليفة صالح ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق وكان الأمر كما أخبر
وكان رضي الله عنه أيام خلافته على طريق الحق والأستقامة والتمسك بكتاب الله وهدى محمد صلى الله عليه وسلم مجتهدا في جمع شمل الأمة واطفاء الفتن والتذفيف على أهل البدع حتى اعتدى على حياته رضي الله عنه الشقي ابن ملجم الخارجي قبحة الله وقد فعل ذلك يوم الجمعة في وقت الفجر وهو يقول الصلاة الصلاة فمكث يوم الجمعة وليلة السبت وتوفي ليلة الأحد عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة فكانت مدة خلافته

كلها أربع سنين وتسعة أشهر إلا ليال وهو يومئذ أفضل من على وجه الأرض بالاجماع وذلك مصداق ما روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن سفينة أبي عبد الرحمن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون بعد ذلك ملكا قال سفينة فخذ سنتي أبي بكر وعشر عمر واثنتي عشرة عثمان وست علي رضي الله عنهم أجمعين
قلت سفينة رضي الله عنه حذف الزائد والناقص عن السنين من الأشهر على ما جرت به عادات العرب في حدف الكسور في الحساب وعلى ما قدمنا ضبطه

فأيام كل منهم لا تكمل ثلاثين إلا بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه وهي ستة أشهر ثم أصلح الله به الفئتين من المسلمين كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم وولي معاوية بذلك واجتمع الناس عليه وكان ذلك العام يسمى عام الجماعة وكان معاوية رضي الله عنه أول ملوك الإسلام وخيرهم وروى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر وثلث عمر ثم خبطتنا بعده فتنة فهو ما شاء الله وفي رواية يقضي الله فيها ما يشاء
وله عنه رضي الله عنه قال ليحبني قوم حتى يدخلوا النار في حبي وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي
وله عنه رضي الله عنه قال يهلك في رجلان مفرط غال ومبغض قال وله عنه رضي الله عنه قال يهلك في رجلان محب مفرط ومبغض مفتر
وله عن الشعبي عن علقمة قال أتدري ما مثل علي في هذه الأمة قال قلت وما مثله قال مثله كمثل ابن مريم أحبه قوم حتى هلكوا في حبه وأبغضه قوم حتى هلكوا في بغضه
وقد روى عبد الله بن أحمد هذا المعنى مسندا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن فيك من عيسى مثلا أبغضته اليهود حتى يهتوا أمة وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به ألا وإنه يهلك في اثنان محب مفرط يقرظني بما ليس في ومبغض مفتر يحمله شنآني

على أن بهتني ألا وإني لست بنبي ولا موصى إلي ولكن أعمل بكتاب الله تعالى

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت فما أمرتكم به من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم
وكان رضي الله عنه يخبر أصحابه بولاية معاوية رضي الله عنه ويقول لا تكرهوا إمارة معاوية والذي نفسي بيده ما بينكم وبين أن تنظروا الى جماجم الرجال تندر عن كواهلهم كأنها الحنظل إلا أن يفارقكم معاوية
وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول لا أعلم أحدا يحفظ من الفضائل في الأحاديث الصحاح ما يحفظ لعلي رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين
مناقب الستة يقية العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم
... فالستة المكملون العشرة ... وسائر الصحب الكرام البرره ...
ف
يليهم في الفضل الستة المكملون عدد العشرة المشهود لهم بالجنة كما في السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد فذكر رجل عليا عليه السلام فقام سعيد بن زيد فقال أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أني سمعته وهو يقول عشرة في الجنة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وأبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير بن العوام في الجنة وسعد بن مالك في الجنة وعبد الرحمن بن عوف

في الجنة ولو شئت لسميت العاشر قال فقالوا من هو فسكت قال فقالوا من هو فقال هو سعيد بن زيد رضي الله عنهم
وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال ذاك يوم كله لطلحة
وفي الصحيح عن أبي عثمان قال لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم غير طلحة وسعد
وفيه عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم قد شلت
وفيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب
من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا ثم قال من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا ثم قال من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا ثم قال إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير
وفيه عن مروان بن الحكم قال أصاب عثمان رضي الله عنه رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى فدخل عليه رجل من قريش قال

استخلف قال وقالوه قال نعم قال ومن فسكت فدخل عليه رجل آخر أحسبه الحارث فقال استخلف فقال عثمان وقالوا فقال نعم قال ومن هو فسكت فلعلهم قالوا الز بير قال نعم أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت وإن لاحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية قال أما والله إنكم لتعلمون أنه خيركم ثلاثا
وفيه عن عبد الله بن الزير رضي الله عنهما قال كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر ابن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف الى بني قريظة مرتين أو ثلاثا فلما رجعت قلت يا أبتي رأيتك تختلف قال وهل رأيتني يا بني قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبويه فقال فداك أبي وأمي
وعن هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك ألا شد فنشد معك فحمل عليهم فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر قال عروة فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير
قلت وقد اخترق صفوف الروم يومئذ أربع مرات مرتين دخولا فيهم ومرتين رجوعا وكانت الضربتان في رجعته من المرة الأخرى كما هو مبسوط في موضعه من السير
وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة بن الزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد زاد في روايةك وسعد بن أبي وقاص
وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت أرق رسول الله ذات ليلة
فقال ليت رجلا صالحا من أصحابي يحرسني الليلة قالت وسمعنا صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال سعد بن أبي وقاص يا رسول الله جئت أحرسك قالت عائشة فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطة
وفيهما عن عبد الله بن شداد قال سمعي عليا يقول ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لأحد غير سعد بن مالك فإنه جعل يقول له يوم أحد ارم

فداك أبي وأمي
وعن عامر بن سعد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع له أبويه يوم أحد قال كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم
ارم فداك أبي وأمي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جنبه فسقط فانكشفت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرت الى نواجذه
وفيه عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال حلفت أم سعد أن لا تكلمه ابدا حتى يكفر بدينه ولا تآكل ولا تشرب قالت زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وزنا آمرك بهذا قال مكث ثلاثا حتى غشي

عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآيات ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك على أن تشرك بي لقمان 15 وفيها وصاحبهما في الدنيا معروفا لقمان 15 قال وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنيمة عظيمة فإذا فيها سيف فأخذته فأتيت به الرسول صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فأنا من عملت حاله فقال رده من حيث أخذته فانطلقت حتى إذا أردت أت القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت أعطينه قال فشد لي صوته رده من حيث أخذته قال فأنزل الله عز وجل يسألونك عن الأنفال الأنفال 1 قال ومرضت فأرسلت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأتاني فقلت دعني أقسم مالي حيث شئت قال فأبى قلت فالنصف قال فأبى قلت فالثلث قال فسكت فكان بعد الثلث جائزا قال وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا تعال نطعمك ونسقيك خمرا وذلك قبل أن تحرم الخمر قال فأتيتهم في حش والحش البستان فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر قال فأكلت وشربت معهم قال فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت المهاجرون خير من الأنصار قال فأخذ رجل أحد لحي الرأس فضربني به فجرج بأنفي فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأنزل الله عز وجل في يعني نفسه بشأن الخمر إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان المائدة 90
وعنه رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فتحدث في نفسه فأزنزل الله عز وجلة ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الأنعام 52

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لكل أمة أمينا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح
وعنه رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام قال فأخذ بيد أبي عبيدة قال هذا أمين هذه الأمة
وعن حذيفة رضي الله عنه قال جاء أهل نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابعث إلينا رجلا أمينا فقال لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين قال فاستشرف لها الناس قال فبعث أبا عبيدة بن الجراح
وروى ابن اسحاق في قصة خالد مع بني جذيمة فقال له عبد الرحمن عملت بأمر الجاهلية في الإسلام فقال إنما ثأرت بأبيك فقال عبد الرحمن كذبت قد قتلت قاتل أبي ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة حتى كان بينهما شر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحه
وسائر الصحب بقيتهم الكرام البررة الذين هم خير القرون من هذه الأمة اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصرة دينه

ثم هم على مراتبهم أفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين ثم من الأنصار ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل الثبات في غزوة الأحزاب التي نجم فيها النفاق ثم بيعة الرضوان ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى
أمعات المؤمنين وبقية أهل بيته صلى الله عليه وسلم ... وأهل بيت المصطفى الأطهار ... وتابعيه السادة الأخيار ... فكلهم في محكم القرآن ... أثنى عليهم خالق الأكوان ... في الفتح والحديد والقتال ... وغيرها بأكمل الخصال ... كذاك في التوراة والإنجيل ... صفاتهم معلومة التفصيل ... وذكرهم في سنة المختار ... ... قد سار سير الشمس في الأقطار
وأهل بيت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم المصطفى تقدم معناه المختار اسم مفعول من الاختيار بمعنى التفضيل وهن زوجاته اللاتي هن أمهات المؤمنين كما قال الله تعالى فيهن وأزواجه أمهاتهم الأحزاب 6 وخيرهن الله تعالى بين إردة زينة الحياة الدنيا وبين إرادة الله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى فيهن إنما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة الأحزاب 33 وهذا زوجاته في الدنيا والآخرة
فمنهن خديجة أم المؤمنين الصديقة الأولى التي هي أول من صدقه صلى الله عليه وسلم فيما بعث به على الاطلاق قبل كل أحد رضي الله عنها وقرأ جبريل عليها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب ولا وصب ومازالت

تؤويه وتسكن جأشه وتعاضده بالنفس والمال حتى توفاها الله عز وجل
وعائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من فوق سبع سموات بأربع عشرة آية تتلى في المحاريب والكتاتيب في كل زمان ومكان التي كان ينزل الوحي عليه وهو في حجرها و توفي في حجرها وقد خلط ريقها بريقه صلى الله عليه وسلم في آخر ساعة من الدنيا وأولها من الآخرة ودفن في حجرتها وكانت من أفقه الصحابة في الحديث والتفسير وغير ذلك حتى كان الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها عن أشياء كثيرة فيجدون منها عندها علما لا سيما ما قاله الرسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعله في الحضر أقرأها جبريل السلام أيضا كما أقرأه على خديجة ومنهن
أم سلمة رضي الله عنه ذات الهجرتين مع زوجها أبي سلمة الى الحبشة ثم الى المدينة ثم تزوجها نبي الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها رضي الله عنه وقد رأت جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية بن خليفة رضي الله عنه
ومنهن زينب أم المؤمنين التي زوجه الله إياها من فوق سبع سموات وهي أطولهن يدا لإنفاقها من كسب يدها وأسرعهن لحوقا به صلى الله عليه وسلم وبسببها نزل الحجاب
وصفية بنت حيي من ولد هارون بن عمران رسول الله وأخي رسوله موسى الكليم عليهما السلام

وجويرية بنت الحارث ملك بني المصطلق التي كانت هي السبب في عتق السبي من قبيلتها
وسودة بنت زمعة التي كانت أيضا من أسباب الحجاب ولما كبرت اختارت نبي الله عز وجل أن تبقى في عصمتة نكاحه ووهبت يومها لعائشة تستحقه مع

قسمها
وأم حبيبة ذات الهجرتين أيضا
وميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنه التي نكحها النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء وهما حلالان على ما حدثت به هي والسفير بينهما
وكلهن زوجاته في الدنيا والآخرة رضي الله عنهن
ويدخل أهل بيته في هذه الآية من باب أولى بل بنص الحديث الخمسة الذين جللهم النبي صلى الله عليه وسلم بكسائه كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا الأحزاب 33
ويدخل في أهل بيته آله الذين حرمت عليهم الصدقة بنو هاشم وبنو المطلب كما في الصحيح عن يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغدوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه ثم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى

عليه ووعظ وذكر ثم قال
أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله تعالى ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة قال نعم وفي رواية أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفيه فقلنا من أهل بيته نساؤه قال لا وايم الله إن المرأة تكون مع الرجال العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده
وفي الصحيح أيضا عن المسور بن مخرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها
وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فلم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول اله صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بابنتي فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم إنه أسر إليها حديثا فبكت فاطمة ثم إنه سارها فضحكت أيضا فقلت لها ما يبكيك فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فقلت لها حين بكت أخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه دوننا ثم تبكين وسألتها عما قال فقالت ما كنت لأفشي سر وسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا قبض سألتها فقالت إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا

أراني إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقا ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك ثم إنه سارني فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هده الأمة فضحكت لذلك
وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لحسن اللهم
إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه ونحوه عن براء بن عازب
وفيه عن أبي بكر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرة واليه مرة يقول
ابني هذا سيد لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين
وفيه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى اله عليه وسلم أنه كان يأخذه والحسن ويقول
اللهم اني أحبهما فأحبهما أو كما قال
وللترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنةوقال حسن صحيح

وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا
وللترمذي وقال حسن عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يخطبنا إذا جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة التغابن 15 نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما
وله عن علي رضي الله عنه قال الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر الى الرأس والحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك هذا حديث حسن غريب
الكلام على التابعين رضي الله عنهم
وتابعيه تابعو الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه السادة من ساد يسود الأخيار على مراتبهم كما قال الله تعالى فيهم على الترتيب والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوانه التوبة 100 الآية وقال تعالى في سورة الجمعة في ذكر التابعين بعد ذكر الصحابة هو الذي بعث في الأمين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم

ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين الجمعة 2 هذا في الصحابة ثم قال في التابعين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله ويؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الجمعة 3 4 وغير ذلك من الآيات
وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال
السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أن قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله قال أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد الحديث
وفي المسند عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت أني لقيت إخواني قال فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نحن أخوانك قال أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني إسناده حسن وقد صحح
وفيه عن أبي أمامة وأنس بن مالك رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات
وروى الحاكم وغيره عن عبد الرحمن بن يزيد قال كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا فذكرنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله إن إمر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ
ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين

يؤمنون بالغيب الى قوله المفلحون البقرة 1 5 وقال على شرطهما ... وبالجملة ... فكلهم في محكم القرآن ... أثنى عليهم خالق الأكوان في مواضع من كتابه كالفتح أي سورة الفتح من أولها الى آخرها و سورة الحديد كقوله تعالى فيها فآمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى قوله وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقتلوا وكلا وعد الله الحسنى الحديد 10 الآيات
و سورة القتال كقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم محمد 3 الآيات و سورة الحشر الى آخرها وقد رتب تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم ثم أردفهم بذكر التابعين فقال تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولوون ربنا اغفر لنا الإخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم الحشر 8 10 أخرج الله بهده الآية وغيرها شاتم الصحابة من جميع الفرق الذين في قلوبهم غل لهم الى يوم القيامة ولهذا منعهم كثير من الأئمة الفيء وحرموه عليهم

ه و
في سورة التوبة و سورة الأنفال بكمالها تارة في الثناء عليهم وتارة في تحذيرهم من عدوهم ووصف المشركون والمنافقين بأنواعهم وسماهم ليحذروهم وتارة في حثهم على الطاعة والجماعة والجهاد في سبيل الله والاثخان في الكفار والثبات لهم عند لقائهم إياهم وعدم فرارهم منهم ووعده تعالى إياهم بالنصر على عدوهم وتارة بتذكيرهم بنعم الله عليهم وامتنانه عليهم أن هداهم للإسلام وجنبهم السبل المضلة وألف بين قلوبهم وآواهم وأيدهم بنصرة بعد إذ كانوا مستضعفين أذلة
وتارة يخبرهم ويهيجهم ويشوقهم بما أعد لهم في الدار الآخرة على قيامهم

بطاعته تعالى وطاعة رسوله وجهادهم بأموالهم في سبيله وله الحمد والمنة وغير ذلك من سور القرآن وآياته كذلك في التوراة الكتاب المنزل على عليه السلام و الأنجيل الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام موسى صفاتهم التي جعلهم الله عليها معلومة التفصيل كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة الفتح 29 هنا تم الكلام ثم قال تعالى ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما الفتح 29
وتقدم قول الأسقف لعمر وصفه الخلفاء رضي الله عنهم وغير ذلك وذكرهم بالمناقب الجمة والفضائل الكثيرة في سنة المختار محمد صلى الله عليه وسلم عموما وخصوصا من الأحاديث الصحاح والحسان قد سار انتشر وأعلن سير الشمس في الأقطار تمثيلا لشهرة فضائلهم ووضوحها لا تحصيها الأسفار الكبار وفي صحيح عن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال صليت المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا فخرج علينا فقال ما زلتم ههنا قلنا يا رسول الله صلينا المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء قال أحسنتم أو أصبتم قال فرفع رأسه الى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه الى السماء فقال
النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون
وفيه عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول نعم فيفتح لهم ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال
أقراني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير

أمتي القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم والله أعلم أذكر الثالث أم لا ثم يخلف قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثا ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون
وعن عائشة رضي الله عنها قالت سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس خير قال القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه
وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أحدا من أصحابي فأن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ماأدرك مد أحدهم ولا نصيفه
وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه في قصة كتاب حاطب مع الضعينة وفيه فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله فدعني فلأضرب عنقه فقال أليس من أهل بدر فقال صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال الله ورسوله أعلم

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال حدثني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة قال البراء لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه إنا فتحنا لم فتحا مبينا الفتح 1 قال الحديبية قال أصحابه هنيئا مريئا فما لنا فأنزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار الفتح 5 وكل هذا في الصحيح
وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة وقال الترمذي حسن صحيح
وقد وردت أحاديث في فضائل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم منها عامة ومنها خاص بالمهاجرين ومنها خاص بالأنصار ومنها خاص الآحاد فردا فردا ومنها القطع لأحدهم بالجنة مطلقا ومنها القطع لبعضهم بمجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة ليس هذا موضع بسطها

إجماع أهل السنة على وجوب السكوت عما كان بين الصحابة رضي الله عنهم
... ثم السكوت واجب عما جرى ... بينهم من فعل ما قد ... قدرا فكلهم مجتهد ... مثاب ... وخطؤهم يغفره الوهاب
أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه والاسترجاع على تلك المصائب اليت أصيبت بها هذه الأمة والاستغفار للقتلى من الطرفين والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر مناقبهم عملا بقول الله عز وجل والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان الحشر 10 الآية واعتقاد أن الكل منهم مجتهد إن أصاب فله أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور ولا نقول إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك وما روى من الأحاديث في مساويهم الكثير منه مكذوب ومنه ما قد زيد فيه أو نقص مه وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معتقد أهل السنة وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائره الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة مغفرة ما يصدر منهم إن صدر حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون وإن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا من بعدهم ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنة تمحوه أو غفر له بفضل سابقته

أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هم أحق الناس بشفاعتة أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور

التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلم أجر واحد والخطأ مغفور ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمهم على الله عز وجل

وقال القاضي عياض في ذكر الصحابة رضي الله عنه وفضائلهم وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها وكلهم عدول رضي الله عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها ولم يخرج شيء من ذلك أحدا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الإجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام

قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده

وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالإجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه

وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين فكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال

البغاة عليه فكلهم معذورون رضي الله عنهم

ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين وكلام الأئمة في هذا الباب يطول وما أحسن ما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقد سئل عن الفتن أيام الصحابة فقال تاليا قول الله عز وجل تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون البقرة 134

خاتمة في وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف اليهما - 1211 فما خالفهما فهو رد
شرط قبول السعي أن يجتمعا ... فيه إصابة وإخلاص معا ... لله رب العرش ... لا سواه ... موافق الشرع الذي ارتضاه ...
شرط في قبول الله تعالى السعي أي العمل من العبد وخبر المبتدأ أن يجتمعا الألف للاطلاق فيه أي في السعي شيئان أحدهما إصابة ضد الخطأ والثاني اخلاص ضد الشرك معا أي لم يفترقا وتفسيره في البيت الذي بعده فتفسير الاخلاص كون العمل لله رب العرش خالصا لا شرك فيه ل سواه وهذا هو معنى لا إله إلا الله وتفسير الإصابة كونه موافق الشرع الثابت عن الله الذي ارتضاه الله تعالى لعباده دينا وأرسل به رسله اليهم وأنزل به كتبه عليهم ولم يقبل من أحد دينا سواه ولا أحسن دينا ممن التزمه وقد سفه نفسه من رغب عنه وقد جمع بين هذين الشرطين في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا الكهف 110 وقد تقدم الكلام على الإخلاص مستوفى في بابه
وأما مسألة التمسك بالكتاب والسنة فنذكر فيه فصولا
الفصل الأول في ذكر وجوب طاعة الله ورسوله قال الله تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول

لعلكم ترحمون آل عمران 132 وقال تعالى قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين آل عمران 32 وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما النساء 65 وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما السناء 69 وقال تعالى وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا النساء 80 وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم نؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرا وأحسن تأويلا النساء 59
وقال تعالى ومن يطع الله والرسول يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين النساء 13 14 وقال إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما النساء 105 وقال تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعملوا أنما

على رسولنا البلاغ المبين المائدة 92 وقال تعالى فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين الأنفال 1 وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وإنه إليه تحشرون الأنفال 24 وقال تعالى وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين الأنفال 46 وقال تعالى إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون

ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقيه فأولئك هم الفائزون النور 51 52 وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون النور 56 وقال تعالى قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه وتهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين النور 54 وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم النور 63
وقال تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى استأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم النور 62 وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما الأحزاب 71 وقال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا الأحزاب 36 وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا الأحزاب 21 وقال يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم محمد 33 وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون الأنفال 20 وقال تعالى ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما الفتح 17 وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب الحشر 7 وقال تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين التغابن 12 وقال تعالى فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور الطلاق 11 وقال إنا أرسلناك

شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزوره وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا الفتح ك 8 وغير ذلك من الآيات
وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال ابن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل
أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى
حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم بن حيان وأثنى عليه حدثنا سعيد بن ميناء حدثنا أو سمعت جابر بن عبد الله يقول جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم الحديث تقدم وفيه
فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين
الناس وله عن حذيفة قال
يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا وإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا
وله عن ابي موسى رحمه الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق
وفيهما عن أبي هريرة رضي اله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم

وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه وتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال
ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية
وفيه عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون
وعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم ويعطي الله عزوجل ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى
وفي المسند وابن ماجه وغيرهما قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فحط خطا هكذا أمامه فقال هذا سبيل الله عز وجل وخطين عن يمينه وخطين عن شماله قال
هذه سبيل الشيطان ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون الأنعام 153

وفي المسند والترمذي وحسنه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا وداع يدعو من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحه محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم
وفي جامع الترمذي عن العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم ير اختلافا كثيرا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وقال هذا حديث حسن صحيح
ورواه أحمد وزاد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعه ضلالة
وفي رواية قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة فماذا تعهد إلينا قال
قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك

وفي رواية فعليكم بما عرفتم من سنتي
وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل
ولأحمد عن مجاهد بإسناد جيد قال كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما في سفر بمكان فحاد عنه فسئل لم فعلت فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلت
وله عن الحسن بن جابر قال سمعت المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه يقول حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر أشياء ثم قال يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدناه فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإنما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله
وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل ينثني شبعان على أريكته يقول عليكم القرآن فما وجدتم فيه من

حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السباع ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغني صاحبهما ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإذا لم يقروهم فعليهم أن يعقبوهم بمثل قراهم ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه واسناد أحمد جيد وسكت عليه أبو داود وحسنه الترمذي ولأحمد عن أبي هريرة نحوه والأحاديث في هذا الباب كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية
الفصل الثاني في تحريم القول على الله بلا علم وتحريم الافتاء في دين الله بما يخالف النصوص قال تعالى قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهو منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون الأعراف 33 وقال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله زمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا الأحزاب 36 وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا الإسراء 36 وقا تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم الحجرات 1 وقال تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين

الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما النساء 105 وقال تعالى اتبعوا ما أنزل من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون الأعراف 3 وقال تعالى إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين الأنعام 57 وقال له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا الكهف ك 26 وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل

الله فأولئك هم الكافرون المائدة 44 ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون المائدة 45 ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون المائدة 47 وقال تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين الأنعام 156 الآيات وقال تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون الزخرف 44 وفي صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون فقاموا إليه فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر فعرفت أنه يوحى إليه فتأخرت عنه حتى صعد الوحي ثم قال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا الإسراء 85 وفيه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة المتلاعنين لما جاءت به على النعت المكروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولهما شأن وفيه عن جابر رضي الله عنه قال مرضت فجاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فأتاني وقد أغمى علي قتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فأفقت فقلت يا رسول الله كيف أقضي في مالي كيف أصنع في مالي قال فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث

وعلى هذا ترجم البخاري رحمه الله تعالى باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول لا أدري أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي ولم يقبل برأي ولا بقياس لقوله تعالى بما أراك الله الآية وترجم رحمه الله تعالى باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ولا تقف ما ليس لك به علم الإسراء 36 ثم ذكر فيه حديث عبد الله بن عمر وقالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه

انتزاعا ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس يستفتون برأيهم فيضلون ويضلون وحديث سهل بن حنيف قال يا أيها الناس أتهموا رأيكم على دينكم لقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم لرددته الخبر وفي خطبه صلى الله عليه وسلم ما لا يحصى أن يقول أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وروى أبو داود عن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل قال كان لا يجلس مجلسا للذكر حين يجلس إلا قال الله حكم قسط هلك المرتابون فقال نعاذ بن جبل يوما إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك قائل يقول ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ما هم بمتبعي حتى أبدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة وحذركم زيغة الحكيم